جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الدرس الصوتي والدلالي في كتاب الفتن بصحيح مسلم

الدكتور

أحمد إبراهيم محمد علي

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات بني سويف ــ شعبة اللغة العربية ــ جامعة الأزهر

العدد الثالث والعشرون

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملخص البحث

الدرس الصوتي والدلالي

في كتاب الفتن بصحيح مسلم

بحث تقدم به الدكتور / **أحمد ابراهيم محمد علي** أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات ببني سويف

المصدر الذي أجريت عليه الدراسة : كتاب الفتن بصحيح مسلم

أسباب اختيار هذا الموضوع : إنما هو الدفع بجملة عظيمة من الظواهر الصوتية والصرفية و الدلالية تلبست بعبارة النبي – صلي الله عليه و سلم – لاسيما و قد ارتبطت عبارة النبي – صلي الله عليه و سلم – بالسقف الأعلى للصحة اللغوية ، باعتبار صحيحى البخاري و مسلم اصح الكتب بعد القرآن الكريم

وقد جاءت غزارة المادة العلمية لنصوص النبي – صلي الله عليه وسلم – حافزا مهما لإعمال يد البحث في مثل تلك البنية

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة عرفت فيها بجوانب الموضوع محل الدراسة وتمهيد عرفت فيه بالمعني اللغوي و الاصطلاحي لمفردات هذه الدراسة لاسيما مصطلحي الدرس الصوتي والدرس الدلالي ثم اختص المبحث الأول بالدرس الصوتي والمبحث الثاني بالدرس الدلالي ثم خاتمة أودعت فيها ما تمخض عنه البحث من نتائج و توصيات واخيرا ثبت بأهم المصادر و المراجع التي ورد ذكرها في هذه الدراسة

وقد تمخض البحث عن جملة من النتائج و التوصيات لعل من أهمها :

١ – موافقة أقوال اللغويين لما رسمته النصوص النبوية من ظواهر صوتية

٢– تفرد اللغة العربية من بين سائر اللغات بإفضاء ألفاظها إلى معان متقاربة تصب في غاية واحدة مهما تنوعت المصادر واختلفت الأصول

٣– أشار البحث الي دور الوحدات الصوتية البسيطة – الحروف أو الحركات – في تنوع دلالة الكلمة بتنوع هذا الصوت البسيط إلي تشعب المعاني المعجمية و اتساع رقعتها الدلالية

٤– اشار البحث الي موافقة المتقدمين كالنووي و ابن حجر في تأويلهما نصوص النبي – صلي الله عليه و سلم وأنه لم يعمد الي أي لون من ألوان اللبس أو الغموض الدلالي علي كثرة اصداراته من الأقوال والأفعال

٥– لاحظ البحث توافقا لمدلولات النصوص النبوية مع مدلولات العربية وذلك فيما يتعلق بدلالة الجموع و مناسباتها لسياقاتها .

الدكتور

أحمد إبراهيم محمد علي

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف

شعبة اللغة العربية ــ جامعة الأزهر

Research Summary

The lesson of the voice and the semantic in the book (Sahih Muslim)

The Researcher name: Dr / Ahmed Ibrahim Mohamed Ali Professor Assistant of Arabic Language in the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Beni Suef University

The source of the study: Fatwa for the correct Muslim

The reasons for choosing this topic: It is the payment of a great number of phonetic and phonetic phenomena and semantic acquired by the words of the Prophet - peace and blessings of God be upon him - to names, especially the words of the Prophet - peace be upon him - were linked to the Supreme Council of Language Health, The loudest Muslim books after the Koran

And the abundance of scientific material of the texts of the Prophet - peace be upon him - has become an important catalyst for the work of the hands of research in such a structure

This study came in an introduction in which I learned the aspects of the topic under study and paved the way in which the linguistic and conventional sense of the vocabulary of this study, especially the terms of the audio lesson and the semantic lesson. Then the first topic was specialized in the study of audio and the second study in the semantic lesson and then the conclusion was deposited in it. Recommendations 55 Finally, the most important sources and references mentioned in this study

The search resulted in a number of results and recommendations, perhaps the most important

1- **The approval of the words of the linguists for what the prophetic texts have drawn from sound phenomena**

2- **The uniqueness of the Arabic language among all other languages by adding the words to the meanings that converge in one direction, no matter how varied the sources and the different assets**

3- **The search for the role of simple vocal units - letters or movements - in the diversity of the meaning of the word in the diversity of this simple voice to the complexity of the meanings of the lexicon and the breadth of its semantic**

4- **The research referred to the approval of the applicants Kalnawi and Ibn Hajar in their interpretation of the texts of the Prophet - peace be upon him - and because he did not do any kind of ambiguity or semantic ambiguity on the large number of statements and actions**

5- **Note that the search in accordance with the meanings of the Prophetic texts with the Arab medallions and that in terms of the total and the relevance of the prayer**

Dr

Ahmed Ibrahim Mohamed Ali

Professor of Assistant Language In the
Faculty of Islamic and Arabic Studies Beni Suef
Girls Arabic Language Division

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يدرس هذا البحث وجها من وجوه اللغة ، لا ينبغي لدارس اللغة أن يتجاهله ، إذ كل دراسة لغوية لا تقوم على أساس صوتي ، لا جرم ستبوء بالفشل ، الأمر الذي دفعني إلى تصدير دراستي هذه – (الدرس الصوتي والدلالي في كتاب الفتن بصحيح مسلم) – بالحديث عن الدرس الصوتي ، والذي تشرف بأن كان باكورة العمل ، الذي تقدم به أبو الأسود الدؤلي ، عندما كلف بضبط المصحف ، أو نقط الإعراب ، وذلك للحفاظ على القرآن الكريم من اللحن أو الانحراف. وعليه ، فقد صدرت دراستي هذه بالحديث عن الجانب الصوتي ، إحياء لما أصله العلماء منذ قرون من الزمان ، ومحاولة مني لإبراز هذا الجانب ، وكيف تستقيم به اللغة ، وتسلم من الانحراف .

وكفى إعلاء لأمر هذا الجانب ما سطره أستاذنا الموقر الدكتور / أحمد علم الدين الجندي ، في مجلة مجمع اللغة العربية ، وهو يعلي من جانب الدراسة الصوتية ، قائلا : " ونحن نؤمن الآن أن كل دراسة صوتية أو نحوية ، لا تقوم على أساس صوتي مصيرها الفشل ، لأن العلاقة وثيقة بين علم وظائف الأعضاء ، وبين الدرس الصرفي والنحوي " [١].

وما دام القصد من كل دراسة لغوية إنما هو الكشف عن المعنى ، مهما كانت طبيعة هذه الدراسة ، ومهما كان المنهج الذي تقلدته ، فلا بد من

١- مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الأربعون ، ص ١٠٨-١١٠ بتصرف ، نوفمبر ، ١٩٧٧م

توجيه دفة الدراسة نحو خدمة المعنى ، فبدون معنى لا تكون لغة ، الأمر الذي حدا بأولمان إلى تصدير فقرته الخاصة عن المعنى بقوله : " المعنى هو المشكلة الجوهرية في علم اللغة" [١] .

بل تعاقبت كل الدراسات والمدارس اللغوية ، بما تحمله من اتجاهات عقلية وسلوكية ولغوية ، من أجل الوصول إلى تصور مقبول لمعنى المعنى، ولكي تؤتي هذه التجربة ثمارها ، فلا بد من غرس غاية تحقيق المعنى غاية لهذه الدراسة ، لعل الله أن يكتب لها القبول بفضله وقدرته.

سهل من هذه الدراسة أن يد البحث هذه قد أطلقت في ثنايا مصدر حديثيّ – وهو صحيح مسلم – وقع عليه الإجماع –هو وصحيح البخاري – بوصفهما بأصح الكتب بعد القرآن الكريم ، وذلك في جزء من أجزاء هذا المصدر ، لمن أثرى البيئات اللغوية صوتا وصرفا ونحوا ودلالة ، فربما مثلت السقف الأعلى للصحة اللغوية في كل هذه الوجوه بعد القرآن ، إنها أقوال النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – التي أرسلها في كتاب ، تحتف به مظاهر الخطورة والدقة ، بل بلغ فيه الانضباط مبلغا ، إنه كتاب الفتن في المصدر سالف الذكر ، الأمر الذي يبعث على الاطمئنان تجاه النصوص موطن الدراسة ، فهي أبعد ما يكون من الوضع والضعف ، وعدم الاطمئنان إلى مرتبتها اللغوية .

فكلما صح مصدر الدراسة ، صحت المادة العلمية – مادة الدراسة – كلما كان ذلك أدعى لصحة النتائج ، وسلامة الغايات .

---

١ – دور الكلمة في اللغة : ص٧٥

وقد جاءت هذه الدراسة في:

١- مقدمة : عرفت فيها بعنوان البحث ، وأسباب اختياره ، والصعوبات التي واجهت الباحث على مدى مراحل الدراسة ، مع استعراض أهم النتائج التي تمخض عنها البحث .

٢- تمهيد : عرفت فيه بالمعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردات هذه الدراسة ، لا سيما مصطلحي : الدرس الصوتي ، والدرس الدلالي .

٣- المبحث الأول : وعنوانه : الدرس الصوتي : تناولت فيه كل الأمثلة التي تخضع لهذا الشكل من أشكال الدراسة.

٤- المبحث الثاني : وعنوانه : الدرس الدلالي ، وقد انتظم كل الحالات التي تخضع لهذا الدرس .

٥- خاتمة : استعرضت فيها ما تمخض عنه البحث من نتائج وتوصيات .

٦- ثبت بأهم المصادر والمراجع التي ورد ذكرها في هذه الدراسة . وعليه، فقد ناسب هذه الدراسة أن يكون المنهج الوصفي هو المتهج الأمثل لهذه الدراسة ، ذلك المنهج الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها ، مع اللجوء أحيانا إلى المنهج التاريخي ، الذي يتعقب هذه الكلمة أو تلك منذ صدرت لأول مرة ، وبمعناها المعجمي الموضوع لها ، وما انتهى إليه المعنى الآن ،مرورا بما أصابه من تطور دلالي .

ولعل ما واجه هذه الدراسة من صعوبة يتمثل في بعض الجوانب العلمية الدقيقة ،التي وردت في ثنايا هذاه الدراسة ، مما لم يتعاقب عليه العلماء ، ولم تتناوله أبحاث اللغة بصفة دائمة ، فأصبحت بمرور الأيام وكر

الأعوام نقاطا صعبة ، ومزالق شديدة ، تحتاج إلى كثير ممارسة ،حتى تهضم ، وتدرج في عداد المألوف من هذه الدراسات .

وإن توافرت مصادرها بكافة أشكالها ، فهي صفحة علمية ، ما أكثر مصادرها ، وما أوفر مراجعها ، وما أكثر تداعياتها على مستوى الدراسات اللغوية .

وبعد ، فإنني إذ أتقدم بهذه الدراسة ، فلا أعدها الصورة النهائية لهذا البحث ، بل ربما كانت الدراسة الأولية في خضم الأطروحات اللغوية ، لكن عسى أن تفتح أفقا أو تهدي سبيلا أو ترسم منهاجا .

وبحسب امرئ من العجز ألا يحيط بجوانب بحث أنفق فيه هذه الأيام المتطاولة ، إلا أن علمنا أن الكمال لله وحده ، وأن كل ابن آدم خطاء ، هو عزاؤنا الأوحد في تقديم هذه البضاعة المزجاة ، عسى الله أن يقبل ما بها من صواب ، ويعفو عما بها من خطأ ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الباحث

أحمد إبراهيم محمد علي

الدرس الصوتي والدلالي

في كتاب(الفتن وأشراط الساعة) بصحيح مسلم

الدرس لغة : الطريق الخفي ، من درس الشيء ، والرسم يدرس دروسا : عفا ، ودرسه القوم : عفوا أثره ، ودرس الكتاب يدرسه دَرْسا ودراسة : كأنه عانده ، حتى انقاد لحفظه[١].

وعليه، فالمقصود بالدرس الصوتي إنما هو تتبع الظواهر الصوتية بالوصف والتحليل ، حتى تفند جزئياتها ، وتتضح جوانبها وأركانها ، ويزول عسيرها ، فلا يبقى منها شيء إلا وقد درس ومحي ، ولذلك يقول الأصمعي: " بعير لم يدرس ، أي : لم يركب "[٢] . وكذلك ظاهرة لم تدرس ،أي : لم يطرق بابها .

والدرس الصوتي يمثل عنصرا لا غنى عنه في مجال الدرس اللغوي، وصرفه ، ونحوه ، ودلالته ، وغير ذلك ، فهو يمثل أحد أنظمة أربعة تخدم الدرس اللغوي[٣] .

بل تقتضي منهجية التحليل اللغوي وتسلسلها أن نبدأ بدراسة الأصوات ، تتبعها دراسة الصيغ والأبنية ، ثم التراكيب والدلالات [٤].

١- لسان العرب : ابن منظور، دار المعارف – القاهرة ، ١٣٥٩/٢ – ١٣٦٠ درس ، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، تحقيق: د. نواف الجراح، مراجعة : د. سمير شمس ، دار صادر – بيروت، ط (١) ٢٢٠/١ ، ٤ / ٧٨ درس .

٢- الصحاح: الجوهري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط(١) ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩م ، ٢/ ٧٨٥ درس .

٣- انظر: الفكر الصوتي في التراث العربي: د. محمد عزت القناوي، دار الجيل – بيروت ، ط(١) ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨م ، ص٣ .

٤- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب ، والدرس الصوتي الحديث : د. حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ط (١) ٢٠٠٥ م ص ١١ .

وتأتي أهمية الدرس الصوتي من حيث اهتمامه بعنصر الأصوات ، أحد عناصر اللغة الثلاثة: الصوت والكلمة والجملة ، بل " لا ريب أن عنصر الأصوات هو أهم عناصر اللغة ، لأن اللغة بكل عناصرها لا تقوم إلا به ، وهي بدونه جثة هامدة ، فاللغة المكتوبة لا قيمة لها ، إذا لم تكن معروفة الأصوات وطرائق النطق ، وقد ماتت لغات كثيرة ، عندما جهلت طريق نطق الأصوات فيها " [١] .

ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة قد ضمت معظم الظواهر الصوتية التي مرت بها ، كالهمز، والإدغام والتخفيف والإمالة والمماثلة ، فضلا عن تغير الصائت بالاختلاس والاشباع فضلا عن استعراض أحوال الإعلال والإبدال والقلب ، وغير ذلك [٢] .

كما كان لهذا البحث تلك الوقفة الجادة والمتأنية عند الظواهر الدلالية، التي وردت في كتاب (الفتن وأشراط الساعة) بصحيح مسلم ، لا سيما قضايا السياق ، والحقول الدلالية ، والعلاقات الدلالية ، الممثلة في المشترك والمتضاد والمترادف ، فضلا عن قضايا المناسبة بين اللفظ والمعنى ، مع الأخذ في الاعتبار انتظام هذه الدراسة للدلالة الصرفية والنحوية والمعجمية ، وقد أصبحت جزءا من هذه الدراسة .

وعليه ، فمن المناسب أن نستفتح هذه الدراسة – بإذن الله – باستعراض الظواهر الصوتية ، وأولى هذه الظواهر:

١- أصوات اللغة العربية : د. عبد الغفار هلال ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط(٣) ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م ، ص ٧ .

٢- انظر : الدراسات الصوتية عند العلماء العرب ص٧ .

١- الهمزة بين التحقيق والتخفيف

وقد انتظمها البحث في النصوص الآتية :

١-عن زينب بنت جحش أن النبي -صلى الله عليه وسلم- استيقظ من نومه ، وهو يقول: " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " ، عقد سفيان بيده عشرة .

قلت يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم إذا كثر الخبث"[١] .

وعنها أيضا : خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوما فزعا محمرا وجهه ، يقول: " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" ، وحلق بإصبعه الإبهام ، والتي تليها . قالت : فقلت : يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ، قال : نعم إذا كثر الخبث " .

٢٨٨١ : وعن أبي هريرة ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:" فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه". وعقد وُهَيْب بيده تسعين[٢] .

والدرس الصوتي هنا يتمثل في همز كلمتي (يأجوج) و (مأجوج) وقد ذكر النووي – رحمه الله – أن يأجوج ومأجوج غير مهموزين ومهموزان ، وقرئ في السبع بالوجهين ، والجمهور بترك الهمز [٣] .

١- صحيح مسلم بشرح النووي: تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث- القاهرة، ط (٣) ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م ، ٢٢٩/٩ ، باب اقتراب الفتن ،الحديث رقم ٢٨٨٠

٢- صحيح مسلم بشرح النووي، باب اقتراب الفتن ٢٣٠/٩،

٣- صحيح مسلم : ٢٣١/٩ ، وانظر معاني القرآن للفراء: تحقيق أ.د / صلاح عبدالعزيز السيد ، دار السلام ، القاهرة ، ط (١) ١٤٣٤ هـ= ٢٠١٣م ، وإعراب القرآن للنحاس ، تحقيق : د. زهير غازي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م ، ٤٧٣/٢ ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط (٢) ١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م ، ٣٠٦/١ ، ٢٣٦/٢ .

وهذا ما ذهب إليه ابن يعيش ، قال: " اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل ، يخرج من أقصى الحلق ، إذ كان أدخل الحروف في الحلق ، فاستثقل النطق به ، إذ كان إخراجه كالتهوع [١]، فلذلك الاستثقال ساغ فيها التخفيف ، وهو لغة قريش ، وأكثر أهل الحجاز ، وهو نوع استحسان ، لثقل الهمزة ، والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا : لأن الهمزة حرف ، فوجب الإتيان به ، كغيره من الحروف " [٢].

بل ما ذهب إليه أبو حيان أيضا ، قال : " وقرأ عاصم والأعمش ويعقوب في رواية بالهمز،وفي (يأجوج ومأجوج) [٣]، وكذا في الأنبياء[٤]، وهي لغة بني أسد ، ذكره الفراء ... وقرأ السبعة بألفاظ مهموزة ، وهي لغة كل العرب غير بني أسد " [٥]. وقد عزيت هذه الظاهرة إلى تميم وهذيل وأسد

١- والتهوع: تكلف القئ ، لسان العرب:٤٧٢/١٦ هوع

٢شرح المفصل: ابن يعيش ، تحقيق دز محمد إبراهيم عبدالله، دار سعدالدين – دمشق:٢٠٢/٩ ،وانظر:الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري : د. عادل هادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد – ، ط (١) =١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م ،ص ٢٩-٣١ .

٣- الكهف /٩٤ ولكن نص ابن أبي مريم على أن عاصما وحده من قرأ بالهمز . انظر : الموضَح في وجوه القراءات وعللها : ابن أبي مريم ، تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي ، رسال دكتوراة بجامعة أم القرى طبعة (١) ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م الفقرة ٤٢ ص ٧٩٩

٤-الآية /٩٦

٥- البحر المحيط – أبو حيان ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ،ط(١) ١٣٢٨ هـ ، ١٦٣/٦ ، بل هذا ما نص عليه الدكتور أحمد علم الدين الجندي ، قال :" وقد ذكر الفراء أن الهمز فيها لغة أسد ". اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول (الصوتي والصرفي ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.ص٣٣٣، وكذلك الدكتورة صالحة راشد ، أنظر اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ط (١) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م ص٣٣٤ – ٣٣٥ وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب ، ومحمد فؤاد عبدالباقي وقصي محب الدين ، المكتبة السلفية – القاهرة ،ط (٣) ١٤٠٧ هـ، ١١٤/١٣. الحديث رقم (٧١٣٥)

وعكل وجميعها من القبائل البدوية أو ممن له فروع بدوية كهذيل [١] وقد ذكر الأزهري أن عاصما وحده هو من قرأ بالهمز في الكهف والأنبياء وقرأ الأعشى عن أبي بكر بغير همز في الصورتين ، وكذلك الباقون لا يهمزون[٢].

كما نقل أبو حيان قول السخاوي أن أصل اللفظ عربي ، وأصله الهمز، وترك الهمز من التخفيف ، وهو من الأجة ، وهو الاختلاف ، أو من الأج وهو سرعة العدو[٣] .

كما نقل أبو حيان لغة ثالثة – نسبها للعجاج وابنه رؤبة – : (آجوج) بهمزة بدل الياء[٤] .

هذا، وقد فرع الأخفش على أصالة الألف فيهما فرعا ، فإن جعلنا ألفهما أصلية فيأجوج يفعول ، ومأجوج مفعول ، كأنه من أجيج النار، ومن لم يهمزهما جعلها زائدة ، فياجوج من يججت وماجوج من مججت "[٥]

١- اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية دكتورة صالحة راشد ص ٣٣٤.

٢- معاني القراءات للأزهري ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط (١) ١٤٢١ هـ=١٩٩٩م : ص (٢٧٥).

٣- السابق

٤-السابق، وقد ذكر أبو حيان أنه لا وجه لهذه القراءة بالهمز إلا اللغة العربية المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم . انظر البحر المحيط لأبي حيان، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط(١) ١٣٢٨هـ ،١٦٣/٦ .

٥-السابق، وانظر: المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني ، المطبعة الميمنية في مصر،١٤٢٣هـ ، ص٨ (اجَّ).

والمعهود أن الدكتور/ إبراهيم أنيس هو أول من أشار من بين اللغويين المعاصرين إلى هذه الحقيقة اللغوية ، قال: " وتكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز أوتحقيقه من خصائص قبيلة تميم ، في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد "[١] .

وعليه، فقد تخلص أبو جعفر ونافع – من رواية ورش– ومن تحقيق الهمزة ، لكونهما أشهر قراء المدينة ، ومن البيئة الحجازية ، التي اشتهر عنها عدم الهمز[٢] .

ولعلك تتساءل : كيف للبيئة الحجازية، التي عرفت بالتأني في الأداء، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة ، أن تسعى للتخلص من الهمزة في نطقها ؟

والجواب – كما ساقه الدكتور/ إبراهيم أنيس – أن التخلص من الهمزة لم يكن شائعا في كل القبائل الحجازية ، بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها ، وعلى نحو ما فعل ابن كثير من تحقيق الهمزة .

هذا ، إلى أن للهمزة حكما خاصا يخالف جميع الأصوات ، فهي أكثر الأصوات الساكنة شدة ، وعملية النطق بها – وهي مخففة – من أشهر العمليات الصوتية ، لأن مخرجها فتحة المزمار ، التي تنطبق عند النطق بها ، ثم تنفتح فجأة ، لهذا كله مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق ، بما في ذلك معظم الحجازيين [٣].

١-في اللهجات العربية: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة،٢٠٠٣م، ص٦٧ .

٢-السابق

٣-السابق، وانظر: اللهجات العربية نشأة وتطورا ،دز عبدالغفار هلال، مكتبة وهبة- القاهرة، ط (٢) ١٤١٤هـ=١٩٩٣م ، ص٢٢٠-٢٢١ .

غير أنها نقلت بعد ذلك إلى لغة الحجازيين ، بل عدت " من أبرز الأمور التي اقتبستها اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية " [١]، بل روي عن عيسى بن عمر أنه قال : " لا آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، أي : تحقيق الهمز" [٢].

٢-عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – :" يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم دينار ولا مدْي ، قلنا : من أين ذاك ؟ قال : من قبل الروم . ثم أسكت هُنَيَّة "[٣] .

قال النووي : " وقوله : (هنية) بتشديد الياء ، بلا همز ، قال القاضي : رواه لنا الصدفي بالهمزة، وهو غلط " [٤].

والدرس الصوتي هنا يتمثل في كلمة (هُنَيَّة) بتشديد الياء ، بلا همز، وقد رد النووي رواية الصدفي بالهمزة ، وقد سبقت الإشارة إليها ، قال: " وهو غلط " .

وعليه، فالبحث أمام كلمتين ، الأولى مجردة من الهمزة ، وهي المقبولة عند النووي ، والثانية بالهمزة ، وهي مردودة .

وقد تتبعت الكلمتين في مظانهما فوجدت الكلمة بروايتها الأولى – بلا همز – في فتح الباري[٥] ، وعلى هذا النحو : عن أبي هريرة – رضي الله عنه

١-في اللهجات العربية: ص٦٩ .

٢-السابق

٣-صحيح مسلم بشرح النووي:٩/٢٦٥،الحديث رقم (٢٩١٣)، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.

٤- السابق ٩/٢٧٣.

٥-فتح الباري:٢/٢٦٥،الحديث (٧٤٤) باب : ما يقول بعد التكبير.

– قال : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة – قال : أحسبه قال هُنَيَّة – فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله..." .

قال ابن حجر : " وهنية – بالنون – بلفظ التصغير ، وهو عند الأكثر بتشديد الياء "[١] .

ثم ساق ابن حجر تأصيل النووي لرواية عدم الهمز ، فقال : " وأما النووي فقال: الهمز خطأ ، قال : وأصله (هَنْوَة) فلما صغر صار (هُنَيْوَة) فاجتمعت واو وياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، ثم أدغمت "[٢] .

ثم نقل بعدها رأي من يخالفه ، ونقل حجته ، قائلا : " قال غيره : لا يمنع ذلك إجازة الهمز، فقد تقلب الياء همزة "[٣] . بل وقع في رواية الكشميهني (هنيهة) بقلب الهمزة هاء [٤].

هذا، وقد تعرض الزبيدي لرواية الهمز (الهنيئة) مستدلا برواية للبخاري ، وقعت الكلمة فيها مهموزة ، ثم نقل كلام ابن حجر ، الذي سبق ذكره [٥].

١–السابق: ٢٦٨/٢ .

٢–٢٦٨/٢ .

٣– السابق

٤– السابق

٥–انظر: تاج العروس:٦١٨/١٠ هنأ .

ثم عقب الزبيدي بما يفيد صحة الروايتين، وأنه لا مانع من إبدال الياء همزة طلبا للتخفيف، كما قلبت هاء [١] ،لا سيما وقد صحت الرواية بالهمزة ، قال الزبيدي: " وتعقبوه بأن ذلك لا يمنع إجازة الهمزة ، فقد تقلب الياء همزة، والعكس . قلت – أي: الزبيدي – : والوجه الذي صح به إبدالها هاء يصح به إبدالها همزة ، ولا سيما بعدما صحت الرواية " [٢].

نعود إلى الظاهرة الصوتية التي تلبست بهذه الرواية ، وهي الإبدال ، وحروفه حروف الزيادة ، والطاء ، والدال ، والجيم ، والصاد ، والزاي ، ويجمعها قولك :استنجده يوم صال زُطٌّ "[٣] .

وحده : أن تقيم حرفا مكان حرف ، إما ضرورة ، وإما صنعة واستحسانا ، وهو على ضربين : يدل هو إقامة حرف مكان حرف غيره، ويدل : هو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره ، على معنى إمالته إليه ، وهذا إنما يكون في حروف العلة، التي هي الواو والياء والألف ، وفي الهمزة أيضا ، لمقاربتها إياها، وكثرة تغيرها [٤].

١- وذلك طلبا للخفة والكثرة والمناسبة ، أما الخفة فلكون الياء بعدها همزة أسهل نطقا من الياء المشددة ، وأما الكثرة فلأن الكثرة تطلب التخفيف، وأما المناسبة فلشبهها بحروف العلة ، والمشابه للحرف يقوم مقام نفس الحرف ، فضلا عما فيه من المد واللين واتساع مخرجها. انظر: المخصص لابن سيده ، تقديم: د. خليل ابراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – لبنان ، ط(١) ١٤١٧ هـ =١٩٩٦ م، ١٨٠/١٣.

٢- تاج العروس:٦١٨/١٠ هنأ ، ولمزيد من الأمثلة التي تقلب فيها الهاء همزة ينظر: الإبدال لابن السكيت ،تقديم : د.حسين محمد محمد شرف ، مراجعة: الأستاذ علي الجندي ناصف ،الهيئة العمة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م، من ٨٨-٨٩ .

٣- شرح المفصل: ١٥/١٠

٤-السابق، وانظر: الإبدال لابن السكيت: ص١٣٦ ، وعلم اللغة للدكتور. إبراهيم أبو سكين ، دار الزهراء – الزقازيق، ط(١) ١٤١٨هـ=١٩٩٧م، ص ١٤٧

وهناك من فرق بين الحالتين تحت مسمى الإعلال والإبدال، فقد تحذف بعض حروف من الكلمة ، أو قد يحل بعض الحروف مكان حروف أخرى. فإذا كان ذلك في حروف العلة سمي إعلالا ، وإن كان في غيرها سمي إبدالا [١].

والملاحظ أن ابن حجر قد عالج هذا البناء تحت مسمى القلب، لأن الإبدال هنا وقع في حروف العلة ، فالكلمة (هُنَيْوَة) سبقت الواو بالسكون، فقلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياء .

وأما من قال بهمز الكلمة فعلى أساس أن الياء قلبت همزة [٢]. بل لا مانع من قلبها هاء ، فتصير (هنيهة) ، كما في رواية الكشميهني[٣] .

هذا ، وقد أشار ابن يعيش إلى جواز إبدال الهمزة من حروف اللين[٤]، بل أكد على هذا في موضع آخر ، فقال: " وقد أبدلوا الهمزة من الياء المفتوحة ، كما أبدلوها من الواو "[٥] .

١- انظر: ملخص قواعد اللغة العربية: فؤاد نعمة، المكتب العلمي للتأليف والترجمة- القاهرة، ط (٢٤) ص٩٠

٢- فتح الباري: ٢٦٨/٢ .

٣- السابق : وقد أورد الزبيدي الكلمة في مادة(هنأ) لأنه تعرض لرواية الهمز (تاج العروس :٦١٨/١٠ هنأ) ثم عاد فنص في آخر حديثه عن الكلمة على أن موضع الكلمة إنما هو (هـ ن و) المعتل . السلبق ، وهذا ما سبق إليه ابن منظور حين استعرضها في مادة (هنو) ولم يذكر رواية الهمز، وكذلك ابن الأثير. انظر: لسان العرب ٤٧١٣/٦ هنا ، والنهاية ٢٧٩/٥ هنا ، وهذا يعني أن لام الفعل في تصريف هذه الكلمة واو. انظر اللهجات العربية للدكتور عبدالغفار هلال، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط (٢) ١٤١٤هـ=١٩٩٣م ، ص ٢٨٤.

٤- شرح المفصل: ١٧/١٠

٥- السابق:٣٠/١٠

وعليه، فالصواب ما قاله ابن حجر، وما ورد بالسند الصحيح ، كما في رواية البخاري، وقد يجزئنا صحة السند الذي وردت فيه الكلمة مهموزة عن التشكك فيما جاءت به الكتب الموثقة في الحديث .

٣-عن ابن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذكر الدجال بين ظهراني الناس ، فقال: " إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافئة " [١].

قال النووي: " أما (طافئة) فرويت بالهمز وتركه ، وكلاهما صحيح ، فالمهموزة هي التي ذهب نورها ، وغير المهموزة التي نتأت ، وطفت مرتفعة، وفيها ضوء " [٢].

وأصل الكلمة – طافية – من " طفا يطفو طفوا وطفوا ، أي: ظهر وعلا ولم يرسب ، وفي الحديث: أنه ذكر الدجال ، فقال : كأن عينيه عنبة طافية ، وسئل أبو العباس عن تفسيره ، فقال : الطافية من العنب : الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة أخواتها ون الحب ، فنتأت وظهرت وارتفعت ، وقيل : أراد به الحبة الطافية على وجه الماء، شبه عنبة بها "[٣].

أما (طافئة) فمن طفئت النار تطفأ طفئا وطفوءً، أي: ذهب لهبها... والنار إذا سكن لهبها وجمرها بعدُ فهي خامدة ، فإذا سكن لهبها وبرد جمرها فهي هامدة وطافئة [٤].

١-صحيح مسلم بشرح النووي:٢٨٦/٩ رقم ٢٩٣٢ باب ذكر الدجال، وصفته، وما معه .
٢- السابق:٢٩٤/٩.
٣-لسان العرب: ٢٦٨٤/٤ ، طفا ، بتصرف يسير.
٤- لسان العرب: ٢٦٧٩/٤ ، طفأ ، بتصرف يسير.

قالدرس الصوتي هنا يتمثل في تحقيق الهمزة ، وتسهيلها ، والمعلوم " أن الهمزة حرف شديد مستثقل ، يخرج من أقصى الحلق ... فاستثقل النطق به ، إذ كان إخراجه كالتهوع " [١].

وقد مضى أن رواية الهمز إنما هي رواية تميم أو قيس ، لأن الهمزة عندهم حرف، فوجب الإتيان به كغيره من الحروف ، والتخفيف إنما هو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، فرارا من ثقل الهمزة [٢]، إلا أن " التخلص من الهمزة لم يكن شائعا في كل القبائل الحجازية ، بل منهم من كانوا يؤثرون تحقيقها ،ويدل على هذا قراءة ابن كثير، الذي التزم تحقيق الهمزة " [٣].

وتخفيف الهمزة هنا إنما يكون بإبدالها ، فالإبدال أحد وجوه التخفيف، فضلا عن الحذف ، أو أن تجعل بين بين ، وبالإبدال تصير الهمزة ألفا ،أو واوا ، أو ياء [٤]، على حسب حركتها وحركة ما قبلها [٥].

والهمزة لا تخلو من ثلاثة أحوال ، إما أن تكون مفتوحة، أو مكسورة، أو مضمومة ، فإن كانت مفتوحة وقبلها مفتوح ، جعلها متوسطة في إخراجها بين الهمزة والألف ، لأن الفتحة من الألف ، وإن كان قبلها ضمة أو كسرة، فإنك تبدلها مع الضم واوا ، ومع الكسر ياء [٦].

١-شرح المفصل: ٢٠٢/٩
٢-السابق
٣- في اللهجات العربية: ص٦٨
٤- انظر الكتاب: تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ٥٥٣/٣ -٥٥٤ ،وشرح المفصل: ٢٠٢/٩ .
٥-انظر: شرح المفصل :٢٠٢/٩
٦-شرح المفصل:٢١٢/٩ ، وانظر: معاني القرآن للفراء، تحقيق: د.صلاح عبدالعزيز السيد، الدكتور/ محمد مصطفى الطيب، الدكتور/عبدالعزيز محمد فاخر، دار السلام- القاهرة ، ط(١) ١٤٣٤هـ =٢٠١٣م ،٣/١٠٤٠-١٠٤١ ، واللهجات العربية : د. عبدالغفار هلال: ص٢٢٣-٢٢٧ .

وهمزة (طافئَة) مفتوحة ، وقبلها الفاء مكسورة ، وعندئذ فإنها تبدل مع الكسر ياء، وعلى نحو ما جاء في رواية التسهيل : (طافية) .

أعود إلى سياق النص النبوي، فأقول :إن رواية الهمز ورواية التسهيل كلتيهما صحيحتان ، فالمهموزة ، هي: " التي ذهب نورها " ، يقال: " طفأت النار تطفأ طفئا وطفوءا ، وانطفأت : ذهب لهبها " . والنار إذا سكن لهبها وجمرها بعد فهي خامدة ، فإذا سكن لهبها وبرد جمرها فهي هامدة وطافئة [١].

أما غير المهموزة " فهي التي نتأت وطفت مرتفعة ، وفيها ضوء " ، قال في النهاية : " هي الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة أخواتها ، فظهرت من بينها وارتفعت، وقيل: أراد به الحبة الطافية على وجه الماء ، شبه عينه بها " [٢]. قال في التاج:"ومنه السمك الطافي:وهو الذي يموت في الماء، ثم يعلو فوق وجهه" [٣].

٤- عن النواس بن سمعان الكلابي قال :ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم- الدجال فقال: " ويبارك في الرَّسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس"[٤].

قال النووي: والفئام – بكسر الفاء ، وبعدها همزة ممدودة – هي الجماعة الكثيرة ، هذا هو المشهور، والمعروف في اللغة، وكثب الغريب ،

١- لسان العرب:٤/٢٦٧٩ طفأ ، وانظر التاج : ٦/٤٣١ طفأ .

٢- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية – القاهرة، ٣/١٣٠ طفأ.

٣- تاج العروس: ٦/٤٤٠ ، طفو

٤- صحيح مسلم : ٩/٢٩١ رقم (٢١٣٧) باب ذكر الدجال، وصفته، وما معه

ورواية الحديث، أنه بكسر الفاء وبالهمز. قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز، بل يقوله بالياء... وحكى الخطابي أن بعضهم بفتح الفاء، وتشديد الياء ، وهو غلط فاحش" [١].

والدرس الصوتي هنا يتمثل في تخفيف الهمزة ، والهمزة هنا مفتوحة ، وقبلها الفاء مكسورة، وقد مضى أن الهمزة إن كانت مفتوحة ، وقبلها ضمة أو كسرة ، فإنك تبدلها مع الضم واوا ، ومع الكسر ياء [٢]، وعندئذ، فإنها تبدل مع الكسر ياء ، فنقول : (الفيام) ، وإن كانت عبارة التاج تعكس أن التخفيف هنا تخفيف العوام [٣]، ولكنه جاء موافقا لضوابط التخفيف.

كما دلت عبارة اللسان على أن الأصل في الكلمة إنما هو الهمز ، وليس التسهيل، قال ابن منظور:" هو مهموز"[٤] . وقال ابن الأثير:" الفئام مهموز" [٥]. وتكاد " تجمع الروايات على أن الئزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم،في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها ، أو تسهيلها، أو قلبها إلى حرف مد " [٦].

أما عن معنى الكلمة، فكما ذكر النووي:" الجماعة من الناس" [٧].وقال الجوهري: "لا واحد له من لفظه"[٨].

١-السابق: ٢٩٩/٩.

٢-شرح المفصل: ٢١٢/٩

٣-يقول الزبيدي:" والعامة تقول :فيام" تاج العروس : ١٢/٨ فأم .

٤-لسان العرب:٣٣٣٦/٥ فأم .

٥-النهاية : ٤٠٦/٣ ،فأم

٦- في اللهجات العربية:ص ٦٧ .

٧-لسان العرب:٣٣٣٦/٥ فأم ، وانظر النهاية : ١٢/٨ فأم .

٨-لسان العرب: فأم ، وتاج العروس : فأم .

أما ما ذكره الخطابي عن البعض ، بفتح الفاء وتشديد الياء، فلم أقف عليه مما اجتمع لدي من المصادر، لكن أورد ابن منظور الكلمة بفتح الفاء وكسرها وفتح الياء، وهي تعني أيضا : الجماعة من الناس ، وقد أشار ابن منظور إلى أن وجود هذه الكلمة بنفس البناء هو الذي منعه من القول بأن الفيام مخفف الفئام[١] ،وقد تابعه على ذلك الزبيدي [٢].

ولو اعتددنا بما يقوله أصحاب المعاجم، ويجمعون عليه ، من همز هذه الكلمة ،وأنهم لم يصرحوا البتة بتخفيف الهمز في هذا الموضع، فربما قادني ذلك إلى القول بأن التخفيف هنا إنما هو مذهب العوام فحسب.

ومما انتظمته ظاهرة الهمز ما رواه أبو سعيد الخدري من قول النبي – صلى الله عليه وسلم– : " فيؤمر به ، فيؤشر بالمئشار من مفرقه ، حتى يفرق بين رجليه"[٣] .

قال النووي: " المئشار بهمزة بعد الميم ، وهو الأفصح ، ويجوز تخفيف الهمزة فيهما ، فيجعل في الأول واوا ، وفي الثاني ياء ، ويجوز المنشار بالنون، وعلى هذا يقال : نشرت الخشبة، وعلى الأول أشرتها " [٤].

وما نص عليه النووي من إبدال الهمزة نونا من باب التخفيف ، نص عليه ابن جني ، قال : " فالذي يدل على أنهما –أي الهمزة والنون– ليسا أصلين ، بل النون بدل من الهمزة ، قولهم في صنعاء وبهراء لما أرادوا

١– السابق : ٣٠٥٤/٥ فيم .
٢– انظر: تاج العروس:٢٩٢/٨،فيم .
٣– صحيح مسلم: ٣٠٠/٩ ، الحديث رقم (٢٩٣٨) باب في صفة الدجال ، وتحريم المدينة عليه.
٤- السابق: ٣٠٠/٩ .

الإضافة إليهما : صنعاني وبهراني فإبدالهم النون من الهمزة في صنعاء وبهراء يدل على أنهما في باب (فَعْلان فَعْلى) بدل من همزة فعلاء"[١].

قال الزبيدي: " وأشر الخشب بالمئشار أشرا ، مهموز : شقه ونشره...

وفي حديث صاحب الأخدود : فوضع المئشار على مفرق رأسه ، المئشار بالهمز هو المنشار بالنون، وقد يترك الهمز، يقال :أشرت الخشب أشرا ، ووشرتها وشرا ، إذا شققتها، مثل نشرتها نشرا ... ومنه الحديث : فقطعوهم بالمآشير، أي : بالمناشير " [٢].

كما أضاف الزبيدي شكلا من أشكال الإبدال ، وهو إبدال الهمز من مئشار ياء ، فتصير ميشارا ، وتحقيق ذلك " أن الهمزة إذا سكنت، وأريد تخفيفها ، فإن كان قبلها فتحة صارت الهمزة ألفا ، وإن كان ضمة صارت واوا، وإن كان كسرة صارت ياء" [٣].

إذن فالأصل في الكلمة أنها بالهمز (المئشار) وعندئذ يتفرع عليها شكلان من أشكال التخفيف ، بحذف الهمزة، فإما بإبداله نونا ، فتصير (منشارا) وإما إبدالها ياء ، فتصير (ميشارا) وكلها بمعنى واحد.

ومما يبعث على الثبات في هذه المسألة توافق الاتجاهات اللغويةعبر عدة عصور، بدءا بالنووي ، ومرورا بابن جني ، وانتهاء بابن يعيش ، مع اختلاف مشاربهم اللغوية.

١- سر صناعة الإعراب: ابن جني، تحقيق: أحمد فريد أحمد ، المكتبة التوفيقية – القاهرة ، ٢/٧-٨ ، وانظر: شرح المفصل : ١٠/٣

٢-تاج العروس: ١/٢٠٠ ، أشر، والحديث ورد بصحيح مسلم ٩/٣٥٨ رقم (٣٠٠٥) باب قصة أصحاب الأخدود ، وقد وردت الكلمة هنا مهموزة.

٣-شرح المفصل:٩/٢٠٣-٢٠٤ ، بتصرف يسير ، وأكثر العرب يحقق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ،ولكن تميما تميل إلى تخفيفها بإبدالها مدة من جنس حركة ما قبلها. انظر اللهجات العربية : د. عبدالغفار هلال ، ص٢٣٢ .

٢- التغاير في الصوامت

١-وعلى نحو ما ورد في حديث أبي بكرة ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- : " إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح ، فهما على جُرُف جهنم، فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعا".

قال النووي: " فهما على جُرُف جهنم " هكذا هو في معظم النسخ (جرف) بالجيم ، وبضم الراء وإسكانها ، وفي بعضها : (حرف) بالحاء، وهما متقاربتان ، ومعناه : على طرفها قريب من السقوط فيها " [١]. "والجرف بضم الراء وبالسكون للتخفيف :ما جرفته السيول وأكلته من الأرض والجرْف تسمى ناحية قريبة من أعمال المدينة على نحو من ثلاثة أميال " [٢]

<u>فالدرس الصوتي هنا ذو شقين :</u>

الأول : ورود لفظة (جرف) بالجيم مرة ، وبالحاء مرة أخرى .

الثاني : ضم الراء من (جُرْف) وإسكانها .

وما يعنينا هنا إنما هو الشق الأول،لأن الثاني سيرد -إن شاء الله- تحت ما يسمى بـ (التغاير في الصوائت)

أما الدرس الأول فهو تناوب السياق على هذين اللفظين : (حرف) بالجيم و(حرف)بالحاء ، قال النووي -رحمه الله- : " هما متقاربتان،

١- صحيح مسلم: ٢٣٩/٩-٢٤٠، الحديث رقم (٢٨٨٨) باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما .

٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : الفيومي تحقيق : د. عبد العظيم الشناوي ، ط(٢) دار المعارف – القاهرة ، ٩٧/١ جَرَفَ

ومعناه : على طرفها قريب من السقوط فيها " [١]، ولا شك أنه يرى من وراء تقاربهما تقارب اللفظ والمعنى ، أما التقارب في اللفظ، فلأن اللفظين متقاربان في سائر الحروف ، إلا الجيم من (جُرْف) والحاء من (حَرْف) ، وهذا يقودنا إلى ما ذكره ابن جني في كتاب (الخصائص) عن نوع من المناسبة بين الصوت البسيط ، وهو حرف واحد في كلمة ، وبين ما تدل عليه الكلمة، انطلاقا من أن " الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية ، التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة ، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص، ما دام يستقل بإحداث صوت معين "[٢] .

أما التقارب في المعنى، فكما سبق أن أشار إليه النووي .

وقد جاء تأثير هذا الصوت البسيط في الكلمة الواحدة ، لتتنوع به دلالة الكلمة بتنوع هذا الصوت ، سواء جاء في أول الكلمة، أم في وسطها، أم في آخرها .

وفيما يتعلق بكلمة الباب (جُرْف) فقد سوى النووي بينها وبين الكلمة الأخرى –(الحرف) بالحاء – في المعنى ولكن : ما وجه الشبه بين (الجُرْف) و (الحَرْف) ؟ وأيتهما أقوى دلالة من الأخرى ؟

أما الحرف : " من كل شيء : طرفه وشفيره وحده ، والحرف من الجبل : أعلاه المحدد"[٣] .

١- السابق : ٢٤٠/٩ رقم (٢٨٨٩) .

٢- دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط(١٠) ١٩٨٣، ص ١٤٢ .

٣-القاموس المحيط: الفيروزابادي، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، ١٧٠/٣ ،حرف .

وهذه الدلالة تكافئ دلالة (الجُرْف) ، فالذي على حرف الجبل قريب من السقوط عنه ، والذي على شفا جرف هار قريب من السقوط عنه ،فربما تكافأت الدلالتان .

ولكن أيهما أقوى في الدلالة على معناه : الجُرْف أم الحرف ؟

وجريا على ما قصده ابن جني ، فأقوى اللفظين دلالة أقواهما صوتا فأي الصوتين أقوى: الجيم أم الحاء ؟

أما الحاء ، فهو نظير العين المهموس ، فهو رخو مهموس مرقق مستفل منفتح مصمت[١].

أما الجيم ، فهو صوت مجهور، يجمع بين الشدة والرخاوة ، وذلك لأنه حال نطقه يلتقي وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء ، فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئا سمع صوت يكاد يكون انفجاريا، هو الجيم العربية ،ولذلك يسمى بالصوت المزدوج [٢].

وفوق ذلك ، فهو صوت مستفل منفتح مصمت.

وعليه، فالجيم يملك من صفات القوة والجهر والشدة – حتى وإن كانت الشدة قليلة – مقارنة بالهمس والرخاوة في الحاء بما ينبئ عن قوة

١- المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٨٠م ، ص٧٦ .

٢- انظر: علم الأصوات : د. كمال بشر، دار غريب- القاهرة ، ط (٥) ١٩٩٨م ، ص٢١٢- ٢١٣ ، المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبدالتواب، وأصوات اللغة العربية: د. عبدالغفار هلال، ص ١٥٤ .

دلالة (الجُرْف) مقارنة بالحَرْف ، وما تحمله لفظة (الجُرْف) من تهيؤ للانهيار .

يضاف إلى ذلك من توالي الضمات في لفظة (الجُرُف) ، والضم " صفة من صفات الخشونة ، التي يحرص عليها البدوي ، والتي يدرك أنها تميزه عن غيره" [١].

فكلها صفات تميز لفظة (الجُرُف) عن لفظة(الحرف) ، وتكسب الأول قوة وخشونة، قد لا نلمسها في الثانية .

٢- ومن النصوص التي وقع فيها تغاير في الصوامت ما رواه جُنْدَب:

قال : جئت يوم الجرعة ،فّإذا رجل جالس ، فقلت : لَيُهْرَاقَنِّ اليوم ههنا دماء ، فقال ذلك الرجل :

كلا والله ، قلت : بلى ، والله ، قال: كلا والله، قلت : بلا والله ، قال : كلا والله ، إنه لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدثنيه ، قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أخالفك ، وقد سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا تنهاني؟ ثم قلت: ما هذا الغضب ؟فأقبلت عليه، وأسأله ، فإذا الرجل حذيفة [٢].

والدرس الصوتي هنا يتمثل في كلمة (أخالفك) بالخاء المعجمة، قال القاضي : " رواية شيوخنا كافة بالحاء المهملة ، من الحلف ، الذي هو اليمين

١-في اللهجات العربية: ص ٨٥ .
٢-صحيح مسلم:٩/٢٤٧ الحديث رقم (٢٨٩٣) .

" قال : ورواه بعضهم بالمعجمة ، وكلاهما صحيح ، قال : لكن المهملة – وهي الحاء – أظهر لتكرر الأيمان بينهما [١] .

وربما كان الحمل على الاشتقاق مدخلا لا بأس به لتحرير اللفظتين ، فالأولى (أخالفك) بالخاء المعجمة ، الماضي منها (خالف) على وزن (فاعل) ، وهي صيغة تدل على وقوع فعل من فاعلين ، كالملامسة والمقاتلة ، فهما مصدران للفعلين : (لامس) و(قاتل) ، فكل فعل على وزن (فاعل) فمصدره الفعال والمفاعلة [٢].

وما يقال في حق (أخالفك) يقال في حق (أحالفك) إلا أن الثانية من الحلف ، الذي هو اليمين ، وهو وزن يدل على وقوع فعل من فاعلين. فالأولى من المخالفة، أي: المخالفة في الرأي، والثانية : من الحلف، الذي هو اليمين، وكلاهما يدل على وقوع فعل من فاعلين

أما التأويل الثاني فعن طريق المواجهة الصوتية بين الوزنين ، فالأول (أخالفك) بالخاء المعجمة ، والثاني (أحالفك) بالحاء المهملة، والفرق بينهما – لتحديد الأقوى دلاليا – هو الفرق بين صوتي الخاء والحاء.

أما الحاء : فحلقي رخو مهموس مرقق [٣].

أما الخاء: فهو " النظير المهموس لصوت الغين "[٤] ، وهذا معناه أنها صوت رخو مهموس مرقق " [٥]، في حين تفارق الخاء الحاء في استعلائها ،

---

١ – السابق .

٢ – انظر: فقه اللغة : الثعالبي ،دار مكتبة الحياة – لبنان ، ١٣١٨هـ ، ص ٢٤١ .

٣– مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٠٣ .

٤–الدراسات الصوتية عند العلماء العرب: ص٨٢ .

٥–المدخل إلى علم اللغة : ص ٧٢ .

فالحروف المستعلية سبعة ، يجمعها قولك : (خص ضغط قظ) ، منها أربعة تجمع بين الاستعلاء والإطباق ، وهي الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء . أما الخاء والغين والقاف، فلا إطباق فيها مع استعلائها [١].

وعليه، فالخاء أقوى صوتا من الحاء ،لاستعلاء الخاء ،مقارنة بالحاء المستفلة، ومن ثَم فاللفظ (أخالفك) بالخاء أقوى في دلالته من اللفظ (أحالفك) لقوة صوة الخاء، ولأن المخالفة تكون بالمحالفة وغيرها ،فهي أعم من المحالفة . وعلى كل فظاهرة التعاقب بين الحاء والخاء واردة على كافة المستويات ، فقد أورد الفراء قراءة يحيى بن يعمر[٢] (إن لك في النهار سبخا طويلا) المزمل/ ٧ وذكر أن أبا الفضل قال : سمعت أبا عبد الله يقول : حضر أبو زياد الكلابي مجلس الفراء في هذا اليوم ، فسأله الفراء عن هذا الحرف ، فقال : أهل باديتنا يقولون : اللهم سبخ عنا للمريض والملسوع ونحوه [٣] .

١-انظر: أصوات اللغة العربية : ص ١٤٥ .

٢- نص عليه أبو حيان في البحر المحيط : ٣٦٣/٨

٣- معاني القرآن : ١١٦٩/٣، وللمزيد من أمثلة هذا التعاقب أنظر : الإبدال لابن السكيت ص ٩٩ – ١٠١ ، والمزهر للسيوطي : ٣٤٥/١ ، والسبخ والسبح معناهما واحد ، أي فراغا. المزهر ٥٤٣/١

٣-التغاير في الصوائت

ومما أصابه البحث من هذا الوجه: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فبينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء ، شرقي دمشق ، بين مهرودتين" [١].

فالدرس الصوتي -هنا- يتمثل في تعاقب الحركات الثلاث-الفتحة والكسرة والضمة-على كلمة عند.

ففيها ثلاث لغات ،كما ذكر النووي ،بكسر العين ، وضمها وفتحها ، وأضاف الزبيدي ،أنها بالكسر أكثر[٢]،وفي المصباح: "هو اللغة الفصحى ،وتكلم بها أهل الفصاحة "[٣]، وفي التسهيل: " وربما فتحت عينها أو ضمت " [٤].

وهذا يعني أن الكسر هو الأصل ، وهي لهجة قبائل الحجاز بوجه عام ، " كانوا يميلون إلى الكسرة " [٥]، لأن "الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه"[٦] ، وهي في اللسان بمعنى " حضور الشيء، ودنوه "[٧] .

وقد فسر ابن هشام الحضور، الذي أشار إليه ابن منظور والزبيدي ، فقد يكون الحضور حسيا ، نحو قوله -تعالى-: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾

١-صحيح مسلم : ٢٩٧/٩.
٢-تاج العروس: ٥٣٦/٧ ، عند .
٣-المصباح المنير : ٤٣١/٢ عند
٤-السابق، وانظر: مغني اللبيب : ٢٦٣/١-٢٦٤ .
٥-في اللهجات العربية: ص ٨٥ .
٦-السابق .
٧- لسان العرب: ٣١٢٥/٥ عند ، وانظر: تاج العروس :٥٣٦/٧ ، عند .

النمل: ٤٠، وقد يكون معنويا ، نحو قوله –تعالى–: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ النمل: ٤٠، وقد يكون للقرب ، نحو قوله –تعالى–:﴿ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ ﴾ النجم: ١٤ – ١٥ وعند : ظرف في المكان والزمان ، بحسب ما تضاف إليه ، فإذا اضيفت إلى المكان ، كانت ظرف مكان ، كعند البيت ، وعند الدار . وإذا أضيفت إلى الزمان ،كانت ظرف زمان ، نحو : عند الصبح ، وعند الفجر [١].

وعليه، فهي في الحديث هنا ظرف مكان ، لأنها أضيفت إلى مكان ، وهو المنارة البيضاء ، وهي بلغاتها الثلاث – الكسر والضم والفتح – تدل على أقصى نهايات القرب ، ولذلك لم تصغر[٢] .

وهي : ظرف مبهم ، لم يتمكن إلا في موضع واحد ، وهو أن يقال لشيء بلا علم : هذا عندي كذا وكذا "[٣] .

ونظرا لعلة الإبهام هذه في (عند) فقد ناظرت الظرف (لدى) ، وهو ظرف من ظروف الأمكنة بمعنى (عند) وهو مبني على السكون . وقد قاده فَرْط إبهامه – بوقوعه على كل جهة من الجهات الست – إلى بنائه ، فليس في ظروف الأمكنة أبهم من لدى وعند[٤] .

١– تاج العروس: ٥٣٦/٧ ، عند .

٢– تاج العروس: ٥٣٦/٧ ، عند . نقلا عن الأزهري في التهذيب، وانظر: مفردات الراغب ، المطبعة الميمنية بمصر، ١٤٢٣هـ ، ص ٣٥٥ ، عند .

٣– السابق .

٤– شرح المفصل :٤/ ١٥٩ .

وكان القياس يقتضي بناء (عند) لأنها في معنى (لدن) و(لدى) ، وإنما أعربوها ،لأنهم توسعوا فيها ، فأوقعوها على ما بحضرتك ، وما يبعد ، وإن كان أصلها الحاضر، فقالوا : عندي مال، وإن لم يكن حاضرا، يريد : أنه في ملكي ،و(لدى) لا يتجاوزون به حضرة الشيء ، فلهذا القدر من التصرف أعربوا (عند) وإن كان حكمها البناء كـ (لدن) ، ولدى [١].

– ومما أصابه البحث من تغاير في الصائت قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ،فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ " .

قال النووي:" جَزْلَتَيْنِ ، بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها، أي : قطعتين "[٢].

والدرس الصوتي هنا يتمثل في تعاقب الصائت على كلمة (جزلة) وتغايره، فتارة بفتح الجيم ،وأخرى بكسرها ،وفي الوقت الذي رجح فيه النووي رواية الفتح ، وأنها الأشهر، رجح ابن دريد رواية الكسر.

أما المعجم فقد رجح رواية الكسر، وقضى بالفتح فقط على المصدرية، قال ابن منظور: " وجزله بالسيف : قطعه جزلتين ، أي: نصفين... وفي حديث الدجال: " يضرب رجلا بالسيف، فيقطعه جزلتين، الجزلة بالكسر: القطعة، وبالفتح: المصدر" [٣]. بل هو نص ما سطره ابن الأثير[٤].

١– شرح المفصل :٤/ ١٥٩ .

٢–صحيح مسلم :٩/ ٢٩٧ رقم ٢١٣٧ . باب ذكر الدجال ، وصفته ، وما معه . وانظر جمهرة اللغة : ابن دريد ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، ٣/ ٩٠ جزل

٣–لسان العرب : ١/ ٦١٨ ، جزل .

٤–انظر: النهاية : ١/ ٢٦٩ ، جزل.

وعليه، فقد تظاهرت المعاجم على اختلافها ،لإبراز رواية الكسر: ابن دريد[١]، وعلى حد حكاية النووي[٢]، وابن منظور[٣]، وابن الأثير[٤]، فالراجح إذن إنما هي رواية الكسر.

بل – وباستخدام المعطيات الصوتية – فإن رواية الكسر هي الأرجح ، وذلك في مقابل رواية الفتح، فمع أن " اللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم " [٥]وله ما يبرره من الاقتصاد في الجهد العضلي ، والميل إلى السهولة ،التي يلجأ إليها الإنسان ،في معظم ظواهره الاجتماعية"[٦] . إلا أن الكسر هنا أنسب، لماذا؟

لأنه يحقق – أيضا – قدرا من الاقتصاد في المجهود العضلي، بسبب تحرك أدنى اللسان معها، وهو أيسر، ومن هنا شاع الكسر في البيئة البدوية، لما يترتب عليه من جهد أقل في أثناء النطق[٧].

ولأن الفتحة أكثر أصوات العلة اتساعا[٨]، فناسبت الكسرة– لكونها أقل اتساعا من الفتحة انقسام المؤمن – على يد الدجال – إلى جزلتين، أي: قطعتين .

١–انظر: صحيح مسلم : ٢٩٧/٩ ، رقم ٢١٣٧ .
٢–السابق .
٣–لسان العرب : ١/ ٦١٨ ، جزل .
٤–النهاية: ٢٦٩/١ ، جزل .
٥–في اللهجات العربية : ص ٥٧ .
٦– السابق : ص ٨٥ .
٧– السابق .
٨– المدخل إلى علم اللغة : ص ٩٥

ومن ذلك أيضا قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: " ويبارك في الرَّسل ،حتى إن اللَّقْحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس" . قال النووي : " و اللِّقْحة – بكسر اللام وفتحها : لغتان مشهورتان ، والكسر أشهر، وهي القريبة العهد بالولادة ، وجمعها لِقَح – بكسر اللام ، وفتح القاف، كبِرْكة وبِرك ، واللقوح ذات اللبن ، وجمعها لقاح" [١].

أما اللِّقحة – بالكسر – فهي : " الناقة من حين يسمن سنام ولدها، ولا يزال ذلك اسمها حتى يمضي لها سبعة أشهر، ويفصل ولدها، وذلك عند طلوع سهيل، والجمع لِقح ولِقاح " [٢].

وأضاف ابن منظور : " اللقحة – بالفتح والكسر " [٣].

وقال في النهاية: " اللقحة – بالكسر والفتح – الناقة القريبة العهد بالنتاج، والجمع : لِقح"[٤].

وهذا محصلة ما نصَّ عليه النووي، بل عكست المعاجم السابقة أن الكسر أشهر، فقد علَّها بالكسر: ابن منظور[٥]،والزبيدي [٦]، والمعهود أن الكسر أسهل، لأن الكسرة: " تتكون بتحرك أدنى اللسان" [٧].

١–صحيح مسلم : ٢٩٩/٩ ، رقم ٢١٣٧ .
٢–لسان العرب: ٤٠٥٨/٥ ،لقح ،وانظر تاج العروس:٤٥٢/٩ لقح .
٣–السابق .
٤–النهاية:٢٦٢/٤ لقح .
٥–لسان العرب:٤٠٥٧/٥ لقح .
٦–تاج العروس:٤٥٢/٩ لقح .
٧–في اللهجات العربية: ص٨٥ . وقال الفيومي : " والفتح لغة ، والجمع (لقح) مثل سدرة وسدر ، أو مثل قصعة وقصع " المصباح المنير ٥٥٦/٢ لَقَحَ

ومع ما أشار إليه الدكتور / إبراهيم أنيس ، من أن الكسر هو لغة القبائل المتحضرة ،وذلك في مواجهته الضم، لغة القبائل البدوية [١]، فضلا عما ذكره سابقا من نسبة الفتح لأهل الحجاز[٢] .

إذن ، فاللقحة – بالفتح والكسر – لغة أهل الحجاز .

وكذلك اللقوح ، فهي : "الحلوب الغزيرة اللبن"[٣] ، وهي تكافئ عبارة النووي : "الحلوب الغزيرة اللبن" [٤].

أما اللقحة – بالكسر – فتجمع على لِقح ولِقاح [٥]. قال ابن يعيش : " وأما وأما الرابع – وهو (فِعْلَة)– فإنه يجمع – في القلة – بالألف والتاء ، نحو سِدْرات وكِسْرات، وفي الكثير يكسر على(فِعَل)[٦]. وأضاف الفيومي : " واللقاح جمع لقحة ، وإن شئت لقوح ". [٧]

١–في اللهجات العربية : ص ٨٥ .
٢–السابق : ص ٩٣ .
٣–تاج العروس : ٤٥٢/٩ لقح
٤–صحيح مسلم : ٢٩٩/٩ .
٥–لسان العرب: ٤٠٥٧/٥ لقح .
٦– شرح المفصل : ٥/ ٤٤ .
٧– المصباح المنير : ٥٥٦/٢ – ٥٥٧ لقح

الدرس الدلالي

في (كتاب الفتن وأشراط الساعة) بصحيح مسلم

وقد انتظم الظواهر الدلالية الاتية :

١ – دلالة الاشارة

١ – وعلى نحو ما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " [١]

وقد تضمن هذا النص عدة اشارات [٢]

الإشارة الأولى : " وعقد سفيان بيده عشرة " . وهذه رواية سفيان بن عيينة

الإشارة الثانية : " وحلق بإصبعه الإبهام ، والتي تليها " وهذه رواية يونس عن ابن شهاب

الإشارة الثالثة : " وعقد وهيب بيده تسعين " وهذه رواية أحمد بن اسحاق

الإشارة الرابعة : " رصدها ابن حجر ، وهى الإشارة بالمائة " [٣] وهذه ليست في صحيح مسلم بل أشار إليها بن حجر

١– صحيح مسلم : ٢٢٩/٩ رقم ٢٨٨٠ ، ٢٨٨١ ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج

٢– صحيح مسلم : ٩ / ٢٣١ رقم ٢٨٨٠ ، ٢٨٨١ .

٣– فتح الباري : ١٣ / ١١٦ رقم ٧١٣٦ .

وهذه الاشارة تقودنا الى ما ذكره الشيخ / محمد محيي الدين عبدالحميد ، وهو يعرف بالكلام اللغوي ، فهو " عبارة عما تحصل بسببه فائدة ، سواء كان لفظا ، أم لم يكن ، كالخط والاشارة " [١]

فللإشارة هنا دلالة ، رصدها / محمد محيي الدين ، وقد مثل لها بسؤال السائل : " هل أحضرت لي الكتاب الذي طلبته منك ؟ " ، فأشرت إليه برأسك من فوق إلى أسفل ، فهو يفهم أنك تقول له : نعم [٢].

كذلك ، وبعد أن وقف الدكتور / عبدالقادر أبو شريفة عندما أسمته الدكتورة / فاطمة محجوب بمبادئ علم الحركة الجسمية عند الجاحظ ، فكما أن للنطق أعضاء كاللسان والأسنان ، فإن للحركة الجسمية أعضاء كالرأس والعينين ، ثم جاء الدور على أستاذنا الدكتور / عبدالقادر أبو شريفة لضرب أمثلة من القرآن ، تجسد دلالة الاشارة ، منها :

١- قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ الأحزاب: ١٩ ، فسلوك العين هنا ، ونظرتها يمينا وشمالا نتيجة الخوف .

٢- وقوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ الكهف: ٤٢

، فتقليب الكفين كناية عن الندم والحسرة

١- التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار ابن حبان – القاهرة ، ط (١) ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م ، ص ٧

٢- السابق

٣- وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ الإسراء: ٨٣ ، فصلت ٥١ .

فالإعراض ، وإبعاد الجانب يدلان على التباعد والعصيان [١]

ومنها ما رواه مسلم من حديث أبي بكرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ " ، قلنا: بلى يا رسول الله – قال " الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين " ، وكان متكئا فجلس ، فقال " ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، ألا وقول الزور ، وشهادة الزور " فما زال يقولها حتى قلت : ليته سكت . [٢]

فتغيير هيئته – صلى الله عليه وسلم – من الاتكاء إلى الجلوس ، ليناسب المقام الرهيب ، وهو شهادة الزور

والحقيقة أن الإشارات الثلاث التي وردت في حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – يكتنفها قدر من الغموض ، ربما لكونها غير معتادة في البيئة العربية ، فتناوبت عليها المفاهيم والتصورات ، فهذا يراها عشرة ، والثاني يراها تسعين ، والثالث يراها مائة ، وهذا لا يقدح في اعتداد النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذه الاشارات لتؤدي معنى معينا ، إلا ما ساقه النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول القائل : " وحلق بإصبعه الابهام والتي تليها" ، فهذه أوضح الاشارات ، وهذا يعني أن العبارات كما يصيبها قدر من الغموض ، فكذلك الاشارات ، وعندئذ يلجأ إلى النظائر ، التي تفك رموز

١-علم الدلالة والمعجم العربي : د / عبدالقادر أبو شريفة ، حسين لافي ، داود عكاشة ، دار الفكر عمان – الاردن ، ط (١) ١٩٨٩ م ، ص ٥٥ – ٥٦

٢- صحيح مسلم : ٣٥٩/١ رقم ١٤٣ ، باب بيان الكبائر وأكبرها

الإشارات ، فيستعان بها لفك شفرة الإشارة . مع الاخذ في الاعتبار أن الإشارة (عشرة) تعد أسهل الإشارات وأبينها دلالة .

هذا ، وقد نقل ابن حجر في الفتح بيانا شافيا لهذه الاشارات ، بما ينبئ عن وضوحها للبعض ، والتباسها على البعض .

فعقد (العشرة) : أن تجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الابهام العليا .

وعقد (التسعين) : أن تجعل طرفي السبابة اليمنى في أصلها ، وتضمها ضما محكما ، بحيث تنطوي عقدتاها ، حتى تسير مثل الحية المطوية .

وعقد (المائة) : مثل عقد التسعين ، لكن بالخنصر اليسرى [١] . وقد أشار النووي إلى شيء من شأنه رصد قدر من التفاوت الدلالي بين هذه الإشارات ، مرده أن عقد التسعين أضيق من العشرة وقد فسره القاضي بقوله :" لعل حديث أبي هريره متقدم ، فزاد قدر الفتح بعد هذا القدر ، أو يكون المراد التقريب بالتمثيل ، لا حقيقة التحديد " [٢]

٢ – ومما أصابه البحث من دلالة الإشارة ما رواه مسلم عن ابن عمر – رضي الله عنه – يقول : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يشير بيده نحو المشرق ويقول " ها إن الفتنة ههنا ، ها إن الفتنة ههنا ، ثلاثا " حيث يطلع قرنا الشيطان ، وفي رواية أخرى " وأومأ بيده نحو المشرق " [٣]

١– فتح الباري : ١٣ / ١١٥ – ١١٦ ، الحديث رقم : ٧١٣٦

٢– صحيح مسلم : ٢٣١/٩

٣– صحيح مسلم بشرح النووي ، ٢٥٩/٩ الحديث رقم (٢٩٠٥) .باب الفتنة من المشرق

فالدرس الدلالي هنا . يتمثل في دلالة الاشارة ، حيث أشـــار النبـــي – صلى الله عليه وسلم – بيده نحو المشرق ، ليحدد الجهة التي يريد النبي – صلى الله عليه وسلم – تحديدها ، فإشارته إلى المشرق دليل على أن هـــذا هو موطن الفتنة ، ومطلعها التي تطلع منه .

تجدر الإشارة أن ثمة فارقا بين النظرية الإشارية ، ودلالة الاشارة .

فالنظرية الإشارية Referential theory أخرجهـــا إلـــى حيـــز الوجود رائدان من رواد الاتجاه العقلي:أوجدن وريتشاردز،

كتبا كتابا بعنـــوان : (The meaning of meaning) أي : معنى المعنى ، طرحا فيه ما لا يقل عن ستة عشر تعريفا للمعنـــى ، حتـــى انتهيا إلى أن هناك ثلاثة عوامل ، تتضمنها أية علاقة رمزيـــة : (الرمـــز Symbol والفكرة Thought ، والمرتبط ذهنيا Referent) .

ويرى أصحاب هذه النظرية أن المشار إليه لا ينبغي أن يكـــون شـــيئا محسوسا قابلا للملاحظة object ، فقد يكون كذلك ، كما قد يكون كيفيـــة quality ، أو حدثا action [١]

تجدر الاشارة أيضا إلى أن قول ابن عمـــر – رضـــي الله عنـــه – : " سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يشير بيده نحو المشرق " تكافئ قوله : " وأومأ بيده نحو المشرق " فكلاهما مما يدخل تحت دلالة الاشارة

١– انظر علم الدلالة : ص ٥٤ – ٥٦

٢ – المشترك اللفظي

وهو إحدى نتائج العلاقة بين اللفظ والمعنى ، ومما أصابه البحث من ظاهرة المشترك :

١ – قول النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد سألته زينب بنت جحش: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم ، إذا كثر الخبث "[١] .

فالدرس الدلالي هنا يتمثل في كلمة (الخبث) بفتح الخاء والباء ، فسرها الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل المراد الزنا خاصة ، وقيل أولاد الزنا ، والظاهر – كما يرى النووي – أنها المعاصي مطلقا " [٢].وذهب به الفيروزأبادي إلى تلك الحدود المحكمة ، فتناول به الباطل في الاعتقاد ، والكذب في المقال،والقبيح في الفعال،ولعل هذا الوصف أدق ما يحد به لفظ الخبث. [٣]

فاللفظة – إذن – من قبيل المشترك اللفظي .

والمشترك عرفه سيبويه بإتقان اللفظين ، واختلاف المعنيين [٤].

وبصورة أدق عند أهل الأصول : " اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين ، فأكثر دلالة على السواء ، عند أهل تلك اللغة " [٥].

١– صحيح مسلم : ٩ / ٢٢٩ رقم ٢٨٨٠ .، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج

٢– السابق .

٣– انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء الترث الإسلامي ط(٣) ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م ، ٥٢٢/٢

٤– الكتاب : سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ١٤١٢ هـ : ١٩٩٢ م ، ١ / ٢٤

٥– المزهر : ١ / ٣٦٩

وقد احتل هذا التعريف مكانة مرضية عند معظم الدارسين ، يؤكد ذلك ما أشار إليه الدكتور / صبحي الصالح من أن تعريف أهل الأصول للمشترك هو أدق ما يحد به [١] .

وبتتبع هذه المعاني في المعاجم وكتب غريب الحديث ، فإني لم أقف عليها صريحة وكما أوردها النووي ، وإن جاءت على سبيل العموم والاشتمال ، فقد نص النووي على معنى عام ، يصلح لأن ينتظم سائر المعاني ، فالمعنى العام – وهو الفسوق والفجور – يصح أن ينتظم الزنا والمعاصي ، كما أن الزنا من المعاصي ، فهي إذن معان متداخلة إلى حد بعيد .

وعليه ، فيجوز إطلاق الخبث على معنيين مختلفين : الفسوق أو المعاصي ، وأولاد الزنا ، بل لو نظرنا إلى المعنى الخاص بأولاد الزنا على أنه معنى ضعيف ، لسوقه بصيغة التمريض ، لصح أن يكون الخبث بمعنى الفسوق والفجور فقط .

وعلى كل فقد جاء الخبث بمعنى النجس [٢]،كما جاء – بضم الخاء، وإسكان الباء – بمعنى الزنا [٣]

وبسكون الباء أيضا ،فهو خلاف طيب الفعل من فجور وغيره، يريده الأفعال المذمومة، والخصال الرديئة [٤] .

١- دراسات في فقه اللغة : د /صبحي الصالح ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط (١٠) ١٩٨٣ م ، ص ٣٠٢

٢- النهاية : ٤١٢ خبث

٣- القاموس المحيط : ١ / ٢٢٤١ ، خبث

٤- لسان العرب : ٢ / ١٠٨٨ خبث

والخابث : الرديء من كل شيء فاسد ، يقال : هو خبيث الطعم ، وخبيث اللون،وخبيث الفعل [١]

والحرام البحت يسمى خبيثا ، مثل الزنى ، والمال الحرام ، والدم [٢] .

والخبثة : الزِّنْيَة ، وهي ابن خِبْثة ، لابن الزِّنْيَة [٣] .

فالراجح – إذن – أن المعاني التي ساقها النووي تعود كلها إلى أصل واحد ، وهو القبيح من كل شيء ، قال ابن الأعرابي : أصل الخبيث في كلام العرب : المكروه ، فإن كان في الكلام فهو الشتم ، وإن كان في الملل فهو الكفر ، وإن كان في الطعام ، فهو الحرام ، وإن كان في الشراب ، فهو الضار [٤] .

وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا رأي ابن درستويه ، إذ يقول : " فظن من لم يتأهل المعاني ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا اللفظ واحد [٥] ، قد جاء لمعان مختلفة ، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد ، وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا "[٦] .

وعليه فكل المعاني التي أشار إليها النووي على أنها معان مختلفة ،منخرطة عن لفظ واحد ، وهو (الخبث) هي في حقيقة الامر كلها شيء واحد ، وهو إصابة الشر ، فالنجس إصابة للشر ، والزنا اصابة للشر ،

١- لسان العرب : ٢ / ١٠٨٩ ، خبث

٢- السابق

٣- السابق

٤- السابق

٥- وكان في معرض الحديث عن لفظة: وجد

٦- المزهر : ١ / ٣٨٤

والمعاصي على إطلاقها إصابة للشر ، وربما هذا ما قصده النووي حين قال: " والظاهر أنه المعاصي مطلقا " فلم يقصد معنى رابعا ، وإنما معنى عاما ، ينتظم سائر المعاني السابقة .

٢ – ومما أصابه البحث من المشترك اللفظي لفظة (الهرج) وقد وردت في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " يتهارجون فيها تهارج الحمر " قال النووي : " والهرج – بإسكان الراء – الجماع ، يقال هرج زوجته ، أي : جامعها " [١]

فالدرس الدلالي – هنا – يتمثل في لفظة (الهرج) التي وقعت على عدة معاني :

١) فالهرج بمعنى القتل وردت في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " إن بين يدي الساعة أياما ، يرفع فيها العلم ، وينزل فيها الجهل ، ويكثر فيها الهرج ، والهرج : القتل " . [٢]

فالهرج : القتل ، قال أبو موسى : " والهرج – بلسان الحبشة – القتل "[٣]

٢) وفي رواية للطبراني عن ابن مسعود : " القتل : الكذب " [٤]

٣) وفي قوله – صلى الله عليه وسلم – : " يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة " قال النووي : " يتهارجون تهارج الحمير ، أي:

١– صحيح مسلم : ٩ / ٢٩٩ ، الحديث رقم (٢١٣٧)
٢– فتح الباري : ١٣ / ١٦ رقم (٧٠٦٥) باب ظهور الفتن
٣– السابق ١٦/١٣
٤– صحيح مسلم ٢٩٩/٩

يجامع الرجال النساء ، بحضرة الناس ، كما يفعل الحمير ، ولا يكترثون لذلك ، الهرج – بإسكان الراء – الجماع ، يقال : هرج زوجته ، أي : جامعها [١]

٤) قال – صلى الله عليه وسلم – : " العبادة في الهرج كهجرة إلى " [٢].
قال النووي : " المراد بالهرج هنا الفتنة " [٣].

إذن فالهرج لفظ يدل على عدة معان ، منها : القتل ، والكذب ، والجماع ، والفتنة .

وبالعودة إلى تعريف أهل الأصول للمشترك ، فإن التعريف يواكب تلك الحال ، فالمشترك – عند أهل الأصول – : هو " اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء ، عند أهل تلك اللغة"[٤]. فالهرج لفظ واحد يقع على عدة معان ، يصدق عليه أن يكون لفظا مشتركا بين هذه المعاني .

وبالعودة إلى المعاجم فقد وجدت كل هذه المعاني مدرجة في المعاجم ، فضلا عن الهرج بمعنى كثرة النوم ، وبمعنى شيء تراه في النوم ، وليس بصادق ، وبمعنى الضعيف من كل شيء [٥]. مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المعاني المشار إليها لا يمكن ردها إلى أصل واحد ، حتى نحكم بوجود معنى مركزي للفظ ، تدور حوله عدة معان فرعية .

١- صحيح مسلم : ٣١٣/٩ رقم ٢٩٤٨ ، باب فضل العبادة في الهرج
٢- صحيح مسلم : ٣١٣/٩ رقم ٢٩٤٨ ، باب فضل العبادة في الهرج.
٣- السابق
٤- المزهر : ١ / ٣٦٩
٥- لسان العرب : ٤٦٤٨/٦ ، هَرَجَ

٣ – التضـــــاد

١ – ويمثله قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها مـــا زوى لـــي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض " [١]

والدرس الدلالي هنا يتمثل في لفظتي : (مشارقها) ، و (مغاربهـــا) باعتبار أنهما ضدان ، لكن على مفهوم المحدثين ، الذين يقصدون بالأضداد: " لفظان ، يختلفان نطقا ، ويتضادان معنى – كالقصير في مقابل الطويـــل ، والجميل في مقابل القبيح " [٢].

هو مفهوم ينطبق على لفظي الباب:(مشارقها) و (مغاربها)،فهمـــا لفظان مختلفان لفظا ويتضادان معنى .

وقد عبر جورج يول عن رأي المحـــدثين : معرفـــا الأضـــداد بهـــذه العبارة[٣] .

" two forms with opposite meaning are called Antonyms "

أي : كل لفظين يحملان معنيين متضادين يعرفان بالأضداد

ولم يكن هذا مفهوم المحدثين وحسب ، بل سبقوا إلى ذلك ابن حزم – رحمه الله – وقد عرف الأضداد يقوله : " كل لفظين اقتسم معنياهما طرفـــي البعد ، وكانا واقعين تحت مقولة واحدة ، وكان بينهما وسائط " [٤].

١– صحيح مسلم : ٩ / ٢٢٤٠ ، الحديث رقم ٢٨٨٩ .

٢– علم الدلالة : د . أحمد مختار عمر ، ص ١٩١ . بتصرف يسير

3–3he study of language , an introduction : George Yule . Cambridge university press , Britain : 1987 ; p. 95

٤– السابق

ولذا ، فقد جاءت الأضداد عند اللغويين المعاصرين مقسمة إلى قسمين :

١)الأضداد المتدرجة .Gradable ant وهي التي يمكن استخدامها ضمن تراكيب نسبية (أكبر من – أصغر من) كما أن نفي أحد الضدين ، لا يعني بالضرورة اشتمال الأخر ، وقد مثل جورج يول لهذا النوع بالمثال التالي : that dog is not old. أي هذا الكلب ليس عجوزا ،وهذه العبارة قد لا تعني بالضرورة أن هذا الكلب صغير ، فربما كان وسطا بين الصغير والعجوز ، وينطبق هذا

٢)على كل الأضداد التي تتمتع بصفة التدرج النسبي

نحو : [١] tall – short / quick – slow / big – small

أي : طويل وقصير ، وسريع وبطيء ، وكبير وصغير

٣)الأضداد غير المتدرجة .Non gradable ant فيميزها أن نفي أحد الضدين يستلزم بالضرورة وجود الآخر ، فإذا قلنا that person is alive : أي:هذا الشخص ليس ميتا [٢]

وعليه ، فإن لفظي الباب من الأضداد غير متدرجة ، فإشراق الشمس يعني موت الغروب ، وغروب الشمس يعني رحيل الشروق ، إلا إذا أخذنا في الاعتبار تعدد المشارق والمغارب ، إذ وردت في القرآن مجموعة: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ المعارج: ٤٠. فانتفاء مشرق لا يعني انتفاء كل المشارق ، وكذلك المغارب . أما على قراءة من أفرد

---

1 –the study of language : p . 95

٢- السابق : ص٢٣٥

المشارق والمغارب، وهي قراءة عبد الله بن مسلم وابن محيصن والجحدري، فعلى أساس أن الله تعالى أقسم بمخلوقاته على إيجاب قدرته [١]

ولو أخذنا في الاعتبار إشارة البعض إلى أن الشفق من الأضداد ، لأنه " يقع في اللغة على الحمرة وعلى البياض " [٢] ، فإن (الأحمر) و (الأبيض) – وفق التقعيد الذي مضى – ينسبان إلى الأضداد المتدرجة ، وذلك لتحقيق بعض درجات الألوان بين هذين اللونين .

أما الأضداد عند القدماء ، فالمقصود بها: "مجموعة الألفاظ التي يدل كل منها على معنيين متضادين " [٣]. ، وباعتبار هذا المفهوم فـ " اللفظ الواحد لا يمكن أن يدل على المعنيين معا في تركيب واحد ، والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد منهما "[٤]

وعلى غير المعتاد تجاه الظواهر اللغوية ، فقد جاء تناول اللغوين المحدثين لهذه الظاهرة تناولا باهتا ، لا يتناسب مع أهميتها كظاهرة لغوية محققة على مستوى كل اللغات [٥] .

١- أنظر الكشاف ٢١٨/٣ والبحر المحيط ٨٣٦/٨

٢- المحلي في الفقه : ابن حزم الظاهري : ٣ / ١٩٢، وانظر لسان العرب : ٤ / ٢٢٩٢ شفق ، والنهاية : ٢ / ٤٨٧ شفق

٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة، مكتبة لبنان – بيروت ، ط (٢) ١٩٨٤ م ، ص ٤٨

٤- السابق

٥- علم الدلالة : ص ١٩١

ومما رصده العلماء من الأضداد بمفهوم القدماء : القروء :جمع قرء ، وهو يطلق في لغة العرب التي نزل بها القرآن على الطهر، وعلى الحيض، ولم تجمع المصادر على شيء مثلما أجمعت على أن القروء من الأضداد [١].

ومما أصابه القدماء من أمثلة التضاد : الجون للأسود والأبيض ، والجلل للصغير والعظيم ، الصريم مصبح والليل [٢] . وعليه ، فإن تلاقي مفهوم ابن حزم للأضداد مع مفهوم اللغويين المحدثين يعد دافعا للقطع بأن هذه الصورة التي اتفقوا عليها إنما هي الأصل في مسألة الأضداد

٢ – ومما أصابه البحث من الأضداد ما رواه يُسَير بن جابر ، قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هِجِّيري إلا : يا عبدالله بن مسعود ، جاءت الساعة ، قال ، فقعد وكان متكئا ، فقال : ..... "[٣]

فعبارة يسير هنا لم تجعل القعود عن اتكاء ، وإنما قال : " فقعد وكان متكئا " وهذه تفارق إلى حد بعيد – (وكان متكئا فقعد) بل يجوز – بموجب دلالة الفاء والواو – أن تتصور أنه – رضي الله عنه – كان متكئا أولا ، ثم قام فقعد ، أو ما شابه ذلك من المظاهر المعهودة .

وقد لاحظت – وأنا استعرض مادة (قعد) في اللسان أن أبا زيد قد نص على أن هذه اللفظة من الأضداد ، قال " قعد الأنسان ، أي : قام ،

١– انظر : ثلاثة كتب في الأضداد . للأصمعي وللسجتاني ولابن السكيت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩١٢ م ، ص ٩٩ ، ١٦٣ ، والأجناس من كلام العرب : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ، دار الرائد – لبنان ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ، ص ٣٤ ، فقه اللغة للثعالبي : ص ٢٤٧ ، والدر المنثور : للسيوطي : ١ / ٢٧٤ .

٢– المزهر : ١ / ٣٨٧

٣– صحيح مسلم : ٩ / ٢٥١ ، الحديث رقم ٢٨٩٩

وقعد: جلس ، وهو من الأضداد " [١] ، كما نص على أن هذه اللفظة من الأضداد أيضا أبوبشار الأنباري ، قال " عند بعض اللغويين يقال : قد قعد الرجل إذا جلس ، وقعد يشتمني ، بمعنى : قام يشتمني "[٢] ، محتجا بشاهد ابن عامر ، وهو من الرجز

لا يَقنعُ الجارية الخِضَابُ ولا الوشاحانِ ولا الجلبابُ

مِن دونَ أن تلتقي الأركابُ ويقعدَ الفعلُ لَهُ لُعَابُ

" جعل يقعد بمعنى ضده ، والأركاب : موضع المذاكير ، واحدها ركب، فاعلم " [٣]، فقعد هنا من الأضداد

بمفهوم القدماء، إذ المقصود بها " مجموعة الألفاظ التي يدل كل منها على معنيين متضادين " [٤]

فاللفظة هنا ينطبق عليها هذا الشرط ، فهي بمعنى قام ، وبمعنى قعد .

١- لسان العرب : ٥ / ٣٦٨٦ قعد

٢- الأضداد في اللغة : ابن بشار الأنباري ، تحقيق : محمد ابرهيم الدسوقي ، مكتبة القرآن – القاهرة ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٥٤

٣- السابق: المادة رقم (١٥١) والوشاح : ينسج من أديم عريضا ويرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها . والخضاب : ما يخضب من حناء . اللسان : وشح ، وخضب ، والأركاب جمع ركب ، والركب ظاهر الفرج وقيل هو الفرج نفسه والركب بالتحريك : العانة وقيل : منبتها وقيل هو ما انحدر عن البطن فكان تحت الثنة وفوق الفرج. اللسان ركب . واللعاب "ما سال من الفم" اللسان لعب ، ولعله هنا – وفق ما يقتضيه السياق – ما يسيل من الذكر عند الجماع .

٤- معجم المصطلحات : د / مجدي وهبة : ص ٤٨ ، وقد سبق استدعاء مفهوم الأضداد عند القدماء وعند المحدثين ،وذلك عند استعراض قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها " الحديث رقم ٢٨٨٩ .

٣ – ومما أصابه البحث من الأضداد ما رواه مسلم في أمر الدجال : " قلنا يا رسول الله : ذكرت الدجال غداة ، فخفَّضت فيه ورفَّعت "[١] .

قال النووي " هو بتشديد الفاء فيهما ، وفي معناه قولان ، أحدهما : أن خفض بمعنى حقر ، وقوله رفع أي : عظمة وفخمة "[٢] .

فالدرس الدلالي هنا يتمثل في التضادين خفض بمعنى حقر ، ورفع ، أي : عظم وفخم .

والأضداد هنا بمفهوم المحدثين : لفظان مختلفان لمعنيين متضادين .

وباعتبار المعيار التي طرحه ابن حزم – والذي قسم – على أساسه الأضداد إلى قسمين : متدرجة

وغير متدرجة ، فمثالنا (خفَّض) و(رفَّع) ينتمي إلى القسم الأول – أي : الأضداد المتدرجة – لأن نفي أحد الضدين لا يعني بالضرورة اشتمال الآخر .

وعليه ، فالدجال قد يكون عظيما من وجه ، وحقيرا من وجه آخر .

٤ – ومنه قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "فعاث يمينا وعاث شمالا" .

قال النووي : " هو بعين مهملة ، وثاء مثلثة مفتوحة ، وهو فعل ماض ، والعيث الفساد ، أو أشد من الفساد ، والإسراع فيه ، يقال : عاث يعيث .... "[٣] .

والدرس الدلالي هنا يتمثل في التضاد بمفهوم المحدثين ، وهو من الأضداد المتدرجة (يمينا) و (شِمالا).

١- صحيح مسلم : ٩ / ٢٨٩ الحديث رقم ٢١٣٧ ، باب ذكر الدجال ، وصفته ، وما معه

٢- السابق :٩/٢٩٤

٣- السابق : ٩ / ٢٩٦ ، الحديث رقم ٢١٣٧

٤ – التـــــرادف

ومما أصابه البحث من الترادف ما رواه مسلم في صحيحه : " فرآه [١] رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو مضطجع على فراش في قطيفـــة له فيها زمزمة " .

قال النووي : " وقد وقعت هذه اللفظة في معظم نسخ مسلم (زمزمة) بزاءين معجمتين ، وفي بعضها : راءين مهملتين ، ووقـــع فـــي البخـــاري بالوجهين ، ونقل القاضي عن جمهور رواة مسلم أنه بالمعجمتين ، وأنه في بعضها(رمزة) براء أولا،وزاي آخرا ،وحذف الميم الثانية ،وهو صوت خفي لا يكاد يفهم،أو لا يفهم "[٢] .

وبعد استعراض ما ذكره النووي ، وما أطبقت به المعـــاجم[٣] ، ممـــا يستقيم وطرح النووي ، ترجح عندي أن هذه الألفاظ الثلاثة – الزمزمـــة ، والرمرمة ، والرمزة – كلها من قبيل المترادف ، بل وينطبـــق عليهـــا حـــد المترادف ، فهي : ألفاظ مفردة دالة على شيء واحـــد باعتبـــار واحـــد[٤] ، والشيء الواحد الذي دلت عليه هذه الألفاظ الثلاثة إنما هو الصوت الخفي ، ففي اللسان : " الزمزمة : صوت خفي ، لا يكاد يسمع "، و " الصوت البعيد تسمع له دويا "[٥] . والزمزمة : " تراطن العلوج عند الأكل ، وهم صموت ،

---

١ - الضمير هنا يعود إلى ابن صياد .والحديث بصحيح مسلم ٢٧٩/٩رقم ٢٩٣١، باب ذكر ابن صياد

٢ - صحيح مسلم : ٩ / ٢٨٥

٣ - انظر : أساس البلاغة ص ٢٧٥ ، ولسان العرب ٣ / ١٧٢٧ ، ٨٨٦٦ ، والنهاية : ٢ / ٣١٣ ، مادة زمم .

٤ - انظر المزهر : ١ / ٤٠٢ – ٤٠٣

٥ - لسان العرب : ٣ / ١٨٦٦ زمم ، وانظر النهاية : ٢ / ٣١٣ ، زمزم

لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ، لكنه صوت تديرونها في خياشيمها وحلوقها ، فيفهم بعضها عن بعض "[١] .

أما الرَمَز ، فـ " تصويت خفي باللسان كالهمس ، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ ، من غير إبانة بصوت ، إنما هو اشارة بالشفتين "[٢] .

أما الرمرمة فلم أقف عليها بلفظها ، لكن وقفت في اللسان والتاج على مدلول يجلي معناها ، قال في اللسان : " وأرم : سكت عامة ..... قال أبو عبيد : أرم الرجل إرماما ، إذا سكت ، فهو مرم ، والإرمام : السكوت .... وترمرم القوم ، تحركوا للكلام ، ولم يتكلموا .... أما الترمرم فهو أن يحرك الرجل شفتيه بالكلام ، يقال : ما ترمرم فلان بحرف ، أي : ما نطق "[٣].

وهكذا اتحدت مدلولات الكلمات الثلاث ، ليتمخض الأمر عن ترادف بينها ، جدير بالذكر أن الأصمعي "قد أثبت الحرفين في(زمزم)ولم يجعل لأحدهما مزية على صاحبه"[٤]،فانتفى القول باستبدال أحد الحرفين عن صاحبه .

٦- السابق

٧ - السابق : ٣ / ١٧٢٧ ، رمز

١ - لسان العرب : ٣ / ١٧٣٨ رمم ، أساس البلاغة ص : ٢٧٥ رمم ، وتاج العروس : ٤ / ٦٤٤ رمم

٢- لسان العرب : ٣ / ١٨٦٦ ، زمم

الدلالـة الصـرفية

وقد أصاب منها البحث العديد من الأبنية والصـيغ ، وعلـى النحـو التالي: –

١ – الألف والسين والتاء : وقد وردت في قول النبـي – صـلى الله عليه وسلم – : " العجب أن ناسا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش ، قد لجأ بالبيت ، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم " فقلنا يا رسول الله : إن الطريق قد يجمع الناس ، قال : " نعم فيهم المستبصـر والمجبـور وابـن السبيل . يهلكون مهلكا واحدا ، ويصدرون مصادر شتى ، يبعثهم الله علـى نياتهم " [١].

١ – أما (المستبصر) فهو من باب المناسبة بين اللفظ والمعنى ، وقد استدعى ابن جنى صيغة (استفعل) التي هي استبصر ، والتي تدل فـي أكثر أحوالها على الطلب ، نحو : استسقى واستطعم واسـتوهب ، فجـاءت الحروف في هذا الباب مرتبة على ترتيب الأفعال ، مفسرا ذلك بأن الأفعـال المحدث عنها أنها وقعت من غير طلب تفجأ حروفها الأصـول ، فالأصـول نحو قولهم : طعم ووهب ودخل وخرج ، فهذا إخبار بأصول فأبات من أفعال وقعت ، ولم يكن معها دلالة تدل على طلب لها ، ولا إعمال فيها .

وكأن ابن جني يريد أن يقول : إن لأصول الصيغ دلالة معينة تناسـب هذه الأصول في مثلها الدالة عليها أحرفا أخرى زائدة على تلك الأصـول ، تكون كالمقدمة لها والمؤدية إليها ، ضاربا المثل بصيغة استفعل ، فـالهمزة والسين والتاء زوائد ، ثم وردت بعضها في الأصول ، الفاء والعين واللام ،

١– صحيح مسلم : ٩ / ٢٣٥ ، الحديث رقم ٢٨٨٤ . باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت

فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك . وباعتبار ما جاء في المنصف فاستبصر- هنا – متعد ، وفعل منها – أي: بصر- متعد أيضا ، وهو يدل على الطلب كاستعتبته ، أي طلبت إليه العتبى ، فاستبصرت أي طلبت البصر والبصيرة.[١]

وذلك أن الطلب للفعل والتماسه ، والسعي فيه ، والتأتي لوقوعه تقدمه، ثم وقعت الإجابة إليه ، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه[٢]. وكذلك المستبصر ، فالألف والسين والتاء تدل على الطلب ، ثم جاء الأصل بعد ، ليدل بحروفه على فعل وقع وعليه فيمكن حمل لفظ المستبصر على من يلتمس الطريقة الصحيحة ، أو على من يطلب الصواب .

٢ – الفرق بين دلالتي الوزنين : (يَفْتَعِلُ) و (يَتَفَعَّلُ) .

ففي حديث يُسَير بن جابر ، قال ابن مسعود : " إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث .... فيشترط المسلمون شرطة للموت ، لا ترجع إلا غالبة "[٣].

قال النووي : " وأما قوله : (فيشترط) فضبطوه بوجهين ، أحدهما : (فَيَشْتَرِط) بمثناة تحت ، ثم شين ساكنة ثم مثناة فوق . والثاني : (فَيَتَشَرَّط) بمثناة تحت ، ثم مثناة فوق ، ثم شين مفتوحة وتشديد الراء "[٤].

فالدرس الدلالي هنا يتمثل في دلالة الوزنين : (يَفْتَعِلُ) و (يَتَفَعَّلُ)

١- المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف للإمام المزني تحقيق أ / إبراهيم مصطفى وأ / عبد الله أمين وزارة المعارف العمومية ط(١) ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م ٧٧/١

٢- الخصائص : ١ / ٥٠٦

٣- صحيح مسلم : ٩ / ٢٥١ ، الحديث رقم ٢٨٩٩ باب اقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال

٤- السابق .

أما الوجه الأول :(فَيَشْتَرط) فمرجعه الاشتراط " الذي يشترط الناس بعضهم على بعض ، أي هي : علامات يجعلونها بينهم ،ولهذا سميت الشُرَط، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها "[١].

أما الوجه الثاني : (فَيَتَشَرَّط) فمرجعه : تشرَّط ، أو شرَّط ، أي : المبالغة في الفعل ، ويفارق سابقه في أن تكرير العين في المثال دليل على تكرير الفعل ، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لهما ، ومكنوفة بهما ، فصارا كأنهما سياج لها[٢].

وعليه فالبناءان السابقان يشتركان في أصل الفعل ، وأنهم " سموا بذلك ، لأنهم أعدودا لذلك ، وأعلموا أنفسهم بعلامات "[٣].

كما سوى بينهم صاحب التاج ، فقال : " واشترط عليه كذا ، مثل شرط ، وتشرَّط في عمله : تألق "[٤]. مع احتفاظ الصيغة مضعفة العين بصفة المبالغة والتكرار . هذا وقد أورد ابن منظور حديث الباب في اللسان ، وقد مهد له قائلا : " والشُّرْطة في السلطان من العلامة والإعداد ، ورجل شُرْطي وشُرَطي منسوب إلى الشرط ، والجمع شُرَط ، سموا بذلك ، لأنهم أعدوا لذلك ، وأعلموا أنفسهم بعلامات "[٥].

١- لسان العرب : ٤ / ٢٢٣٦ ، شرط .
٢- انظر الخصائص : ١ / ٥٠٦ .
٣- لسان العرب : ٤ / ٢٢٣٦ ، شرط .
٤- تاج العروس : ٥ / ٦٧١ . شرط .
٥ - لسان العرب : ٤ / ٢٢٣٦ . شرط .

ومثله تماما ما رصده ابن الأثير في حديث الباب ، قال : " وبه سميت شُرَط السلطان ، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها ، هكذا قال أبو عبيد "[١].

٣ – دلالة البناء (تَفْعُلُ)

وقد ورد في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " إن الساعة لا تكون ، حتى تكون عشر آيات : ..... ، ونار تخرج من قُعْرة عدن ، تَرْحُل الناس "[٢] .

والدرس الدلالي هنا يتمثل في الدلالة الصرفية للوزن سالف الذكر ، وهو مضارع أحد الأبنية المجردة الثلاثية ، والمجرد ثلاثة أبنية : فَعَل – بفتح العين ، وفعِل – بالكسر وفعُل – بالضم ، والأشهر في الأبنية الثلاثة:ما كان بكسر العين (يفعِل) لأنه أكثر ، ولأن الكسر أخف من الضم [٣]

وبناء الباب جاء مضموم العين في المضارع ، مفتوحا في الماضي ، وما كان مفتوح العين في الماضي يجيء على ضربين : متعد ، وغير متعد ، والمضارع منه يجيء على يفعِل ويفعُل – بالكسر والضم – ويكثران فيه ، حتى قال بعضهم : " إنه ليس أحدهما أولى من الآخر ،وقد تطرح العادة أحد البنائين ، ويقبح استعماله " [٤].

١- النهاية : ٢ / ٢٦٠ . شرط .

٢- صحيح مسلم : ٩ / ٢٥٤ – ٢٥٥، الحديث رقم ٢٩٠١ باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

٣- انظر شرح المفصل : ٧ / ٢٧٨ .

٤- انظر شرح المفصل : ٧ / ٢٧٨ .

وعليه ، فالبناء (ترحُل) مضموم العين في المضارع ، ومتعد ، ومع أن الأصل في المضارع المتعدي الكسر ، وفي غير المتعدي الضم ، إلا أنهما قد يتداخلان ، فيجيء هذا في هذا ، وربما تعاقبا على الفعل الواحد[١] .

فمقتضى القياس إذن أن يأتي هذا البناء (تَرْحُل) مكسور العين ، لأن عين الماضي مفتوحة ، وهو متعد .

وبنا الباب جاء مضموم العين في متن الحديث (ترحُل) ومفتوح العين في شرح الامام النووي (تَرْحَل) " بفتح التاء ، وإسكان الراء ، وفتح الحاء المهملة المخففة ، هكذا ضبطناه "[٢].

وبالعودة إلى معاجم اللغة وجدت ابن منظور قد ساق الحديث بضبط ثالث، يخالف الضبطين السابقين (تُرَحِّلُ) بضم التاء ، وفتح الراء ، وتشديد الحاء ، قال : " ومعنى ترحل الناس ، أي : تَرْحَلُ معهم إذا رحلوا، وتنزل معهم إذا نزلوا ، وتقيل معهم إذا قالوا "[٣].

بل أطبق على هذا المدلول الزبيدي في تاج العروس[٤] . وابن الأثير في النهاية[٥] ، مع اتفاقهم جميعا على نسبة التفسير الذي ألحق بالنص إلى شعبة – رحمه الله – وأنه جاء متصلا بالحديث[٦]

١- السابق : ٧ / ٢٧٦ .
٢- صحيح مسلم : ٩ / ٢٥٧ .
٣- لسان العرب : ٣ / ١٦٠٩ ، رحل .
٤- ٤/٢٤٤٥ رحل
٥- ٢ / ٢١٠ رحل .
٦- انظر : اللسان ، والتاج ، والنهاية : رحل .

هذا وقد أضاف الزبيدي وجها آخر لهذا الحديث – نقلا عن شمر – قال : " ويروي (تُرْحِل الناس) أي : تنزلهم المراحل ، وقيل تحملهم على الرحيل "[١] .

وعليه ، فقد خالفت المعاجم كلها متن رواية مسلم – بضم الحاء – فلم أجد لها ظلا في المعاجم التي رجعت إليها ، وترجح عندي ما ساقه النووي – رحمه الله – في تفسيره للحديث : بفتح التاء ، وإسكان الراء ، وفتح الحاء المهملة "[٢].

قال الزبيدي : " رَحَلَ البعير يَرْحَل رحلا "[٣].

وبالعودة إلى شرح المفصل ، نجده قد فرع على الثلاثي المجرد " ثلاثة أبنية : فعل – بفتح العين ، وفعل : بكسر العين ، وفعل : بضم العين "[٤] .

فما كان من الأفعال (فعَل) بفتح العين ، فإنه يجيء على ضربين : متعد ، وغير متعد[٥] .

وبناء الباب متعد : (تَرْحَل الناس) .

١- تاج العروس : ٤ / ٤٤٥ ، رحل

٢- صحيح مسلم : ٩ / ٢٥٧

٣- تاج العروس : ٤ / ٤٤٣ . ويرحل – كما ورد في شرح النووي – بإسكان الراء ، وفتح الحاء

٤- شرح المفصل : ٧ / ٢٧٦

٥- السابق

وقال الشارح : " أما فعل يفعل – بفتح العين – فلم يأت عنهم ، إلا أن تكون العين أو اللام أحد حروف الحلق ، وليس ذلك بالأصل ، وإنما هو لضرب من التخفيف ، بتجانس الأصوات "[١].

وبناء الباب (يرحل) حلقي العين ، فعينه حاء ، والحاء أحد حروف الحلق . وربما فتحت عينه في المضارع ، وفق ما ساقه النووي في شرحه، وقد أشرنا إليه

٤– دلالة جمع القلة (أَفْعُل)

وذلك في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما ، نعالهم الشعر ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما ، صغار الأعيُن ، ذُلفَ الآنُف "[٢] .

والدرس الدلالي هنا يتعقب العلة التي لأجلها وقع الاختيار على جمع القلة : (الأعين) و (الآنُف) على وزن (أَفْعُل) مع وجود جمع الكثرة : (العيون) و (الأنوف) على وزن (فعُول) ، مع الأخذ في الاعتبار أن الزبيدي قد رصد الخبر برواية هذا الحديث ، بجموع الكثرة ، لا بجموع القلة[٣].

فلم استبدل النبي – صلى الله عليه وسلم – جمع الكثرة بجمع القلة ، على الرغم من أن مسوغ الكثرة قائم وموجود ؟ ، قال ابن الأثير : " ويحتمل أنه قللها لصغرها "[٤].

١– السابق : ٧ / ٢٧٩
٢ – صحيح مسلم : ٩ / ٢٦٣ ، الحديث رقم ٢٩١٢ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل
٣– تاج العروس : ٤ / ٣٠١ ، ذلف
٤– النهاية : ٢ / ١٦٥ ، ذلف ، وقد نص أصحاب المعاجم مرارا على صغر الأنف وقصرها

وعليه ، فرواية الكثرة لكثرة عددهم ، ومن ثم لكثرة أنوفهم ، ورواية القلة ، لصغر أنوفه ،وكذلك (الأعين) جمع قلة ، لصغر الأعين ، قياسا على صغر الأنوف ، مع حمل جمع الكثرة في العين على كثرة العيون .

هناك جمع ثالث : (أعيان) جمع قلة[١] ، لم يرد في القرآن ، ولم أقف عليه مستعملا فيما بين يدي من المصادر ، فليس إذن بفصيح ولا مشهور ، بل تعاقب النظم الكريم على هذين الجمعين : عيون ، وأعين[٢].

وعليه ، فلا لبس على الاطلاق من استعمال أحد الجمعين – الكثرة أو القلة – ما دام هناك مسوغ سياقي ، يرجح كفة هذا أو ذاك .

وكذلك جمع القلة (أَقْرُب)

وقد ورد في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " فجلسوا في أقرب السفينة " .

قال النووي : " هو بضم الراء ، وهي سفينة صغيرة ، تكون مع الصغيرة كالجنبية ، يتصرف فيها ركاب السفينة ، لقضاء حوائجهم ، الجمع: قوارب ، والواحد قارب ، بكسر الراء وفتحها . وجاء هنا (أقربُ) وهو صحيح ، لكنه خلاف القياس . وقيل : المراد بأقرب السفينة أخرياتها ، وما قرب منها للنزول "[٣] .

١- شرح المفصل : ٥ / ١٨ ، وانظر الصحاح للجوهري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط (١) ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م ، عين . والقاموس المحيط : الفيروزآبادي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م ، عين .

٢- انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، محمد فؤاد عبد الباقي ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، نشره : د./ أ . ي ونسنك ، مكتبة بريل – ليدن ، ١٩٣٦ ، عين .

٣- صحيح مسلم : ٩ / ٣١٠ رقم ٢٩٤٢ .

فالدرس الدلالي هنا يتمثل في دلالة الكلمة الصرفية ، وهل تتغير هذه الدلالة بكسر الراء عنها بفتح الراء ؟

أما القارب فهو السفينة الصغيرة ، مع أصحاب السفن الكبار البحرية ، كالخبائب لها ، وهو تعريف النووي[١] ، وجمعها قوارب[٢]

وقد وردت الكلمة المفردة (القارب) في اللسان والتاج بصيغة موحدة، رويت بكسر الراء ، ولم أجد لرواية الفتح ظلا في هذين المعجمين ، فضلا عن النهاية .

أما الجمع (أقرب) فقد رواه أصحاب الكتب الثلاثة ، ونصوا على أنه غير معروف ، إلا أن يكون على غير قياس[٣] .

وتأويل ذلك إلى أن الجمع (أقرب) جمع قلة ، ، على وزن (أَفْعُـل) والذي من خصائصه أنك تفسر به العدد القليل ، الذي ورد ذكره في الحديث، فقدر من كانوا مع المسيح الدجال ثلاثون رجلا من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهرا في البحر ، فجلسوا في أقرب السفينة ، فلو وزع الثلاثون على ثلاثة أقرب لكان نصيب كل قارب عشرة أفراد ، وهو حد جمع القلة .

قال ابن يعيش : " وينقسم إلى جمع قلة ، وجمع كثرة ، فجمع القلة عشرة فما دونها "

وقال : " والمراد بالقليل ، الثلاثة فما فوقها إلى العشرة ، وما فوق العشرة فكثير "[٤] .

١- انظر لسان العرب : ٥ / ٣٥٧٠ ، قرب .
٢- السابق ، وانظر النهاية : ٤ / ٢٣٥ قرب .
٣- انظر : اللسان ، التاج ، النهاية : ٤ / ٢٣٥ قرب .
٤- شرح المفصل : ١٥ / ١٨ – ١٩ .

إذن ، فهذا الجمع – وإن كان على غير قياس – فهو يناسب السياق .

أما الجمع (قوارب) الذي هو على وزن (فواعل) فإن جمع يوصف به المذكر والمؤنث ، وتدخل التاء على المؤنث للفرق بينهما ، نحو : امرأة ضاربة ، ونساء ضوارب ، وجبل شاهق ، وجبال شواهق[١] ، وهو جمع لا يناسب المقام ، لأنه جمع كثرة ، لا يناسبه العدد الوارد ذكره في الحديث .

٥ – دلالة جمع الكثرة (فِعَل)

وقد ورد ذكره في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " ويبارك في الرَّسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس " .

قال النووي : " واللقحة – بكسر اللام ، وفتحها : لغتان مشهورتان ..... وجمعها لِقح – بكسر اللام وفتح القاف ، كبِركة وبِرك ، واللقوح ، ذات اللبن ، وجمعها : لِقاح "[٢] .

أما اللقحة – بالكسر – فهي " الناقة من حين يسمن سمان ولدها ، ولا يزال ذلك اسمها حتى يمضي لها سبعة أشهر ، ويفصل ولدها ، وذلك عند طلوع سهيل ، والجمع لِقح ، ولقاح "[٣] .

واللقحة – بالفتح – كاللقحة بالكسر أيضا ، وهي " الناقة القريبة العهد بالنتاج ، والجمع : لِقح "[٤]

١- السابق : ٥ / ١٠٤ – ١٠٥ .
٢- صحيح مسلم : ٩ / ٢٩٩ ، لقح .
٣- لسان العرب : ٥ / ٤٠٥٨ لقح ، وانظر : تاج العروس : ٩ / ٤٥٢ لقح .
٤- النهاية : ٤ / ٢٦٢ لقح .

قال ابن يعيش : " وأما الرابع – وهو (فِعْلَة) – فإنه يجمع في القلة بالألف والتاء ، نحو: سِدرات وكسرات، وفي الكثير يكسر على (فِعَل) [١] .

وعليه ، فجمع (لِقحة) على لِقح (فِعَل) يعبر به عن الكثرة ، وهو " جمع يطرد فيما كان اسما تاما على (فعلة) بكسر الفاء وسكون العين ، نحو كسرة وكسر ، وحجة وحجج ، وشيعة وشيع ، وحيلة وحيل "[٢] وقد تجمع على فعال ، وهو جمع يدل على الكثرة أيضا ، وكان النووي نص على جمعين يدلان على الكثرة ، وهما جمعان يناسبان المقام ، مقام البركة وكثرة الطرح .

بل هناك جموع أخرى لـ (فِعْلَة) تدل على القلة ، كجمع (اللقحات) بالألف والتاء ، وربما جمعوه على (أفعل) وهو جمع قلة أيضا[٣] ، وهذان جمعان ، لا يناسبان المقام .

٦ – دلالة بعض المصادر

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:"يكون في آخر أمتي خليفة يَحْثي المال حَثيا،لا يعده عددا"[٤] .

قال النووي : " قال أهل اللغة : يقال : حثيت أحثي حثيا ، وحثوت أحثو حثوا ، لغتان ، وقد جاءت اللغتان في هذا الحديث ، وجاء مصدر الثانية على فعل الاولى ، وهو جائز من باب قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ نوح: ١٧

١- شرح المفصل : ٥ / ٤٤ .
٢- التبيان في تصريف الأسماء : د. أحمد حسن كحيل ، الطبعة السادسة ، ص٢٣٢
٣- شرح المفصل : ٤٤/٥
٤- صحيح مسلم : ٩ / ٢٧٣ ، الحديث رقم ٢٩١٣ .

والحثو : هو الحفن باليدين ، وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات ، مع سخاء نفسه [١] .

وهذه أيضا تلحق بسابقتها ، من حيث مخالفة القاعدة الصرفية ، ونزولا عند معطيات اللهجة ، فكما أن زيادة المبنى تعكس زيادة في المعنى ، وأن (أفعل) تحمل زيادة في المبني مقارنة بالوزن (فعل) ولكن قضى اختلاف اللهجات بالتسوية بين الصيغتين في المعنى ، وتجمد القانون الصرفي عندئذ .

وهنا أيضا فالقانون الصرفي أن مضارع (حثا) يحثا ، بالألف ، هكذا ذكره الزبيدي[٢] ، حتى وإن كانت نادرة نحو: جبا يجبا ، وقلا يقلا[٣] ، ولكن قضى اختلاف اللهجات بتسويغ : حثى يحثو ويحثي حَثَـوْا وحثيا[٤]

كما قضى بتسويغ : حثا التراب ، يحثو ويحثي ، وإن عقب الزبيدي بما يدل على رفضه لهذا التصريف ، قال : " فحثا التراب يحثو ويحثي ، كذا في النسخ ، والصواب : يحثا – بالألف ، وهي نادرة "[٥] .

هذا ، وقد أصل النووي لهذه اللغة ، فقال : " حثيت أحثي حثيثا ، وحثوت أحثو حثوا ، لغتان ...جاء مصدر الثانية على فعل الأولى، وهو جائز من باب قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ نوح: ١٧" [٦] والأصل إنباتا .

١- السابق . فالأولى من باب رمى يرْمي ، أي : فعَل يفعِل ، والثانية من باب فعَل يفعُل

٢- صحيح مسلم: ٣/ ٦٨ ، حثى .

٣- السابق .

٤- الصحاح : ٥/ ١٨٤٣ حثا ، وانظر : لسان العرب : ٢ / ٧٧٦ حثا ، وانهاية : ١ / ٣٣٩ حثا .

٥- تاج العروس : ٣ / ٨٦ ، حثى .

٥- صحيح مسلم : ٩ / ٢٧٣ .

٧ – الفرق بين دلالتي (يُبْعثَ) و (يَنبْعِثَ)

وقد وردتا في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دجالون كذابون، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله " .

وفي رواية أخرى : " حتى ينبعث دجالون كذابون "[١] .

والدرس الدلالي هنا يتمثل في الدلالة الصرفية للفعل : (بعث) ، والذي جاء في رواية مبنيا للمفعول : (يُبْعَثَ) ، وفي رواية أخرى على وزن (يَنْفَعِل) مضارع (انفعل) .

أما الصيغة الأولى (يبعث) فهي مضارع مبني للمفعول، أصله: يَبْعَثُ ، "ضم أوله ، وفتح ما قبل آخره"[٢] .

فإذا " حذف الفاعل ، وجب رفع المفعول ، وإقامته مقام الفاعل ، وذلك من قبل أن الفعل لا يخلو من فاعل حقيقة ، فإذا حذف فاعله من اللفظ استقبح أن يخلو من لفظ الفاعل ، فلهذا وجب أن يقام مقامه اسم آخر مرفوع " [٣] .

هذا ، وقد استعرض ابن يعيش جملة من العلل التي لأجلها يحذف الفاعل ، منها : الخوف عليه ، ومنها جلالته ، ومنها دناءته ، ومنها الجهالة به ، ومنها : حذفه إيجازا واختصارا .

١– صحيح مسلم : ٩ / ٢٧١ رقم ١٥٧ . ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل

٢– شرح المفصل : ٧ / ١٢٧ .

٣– السابق .

وقد وقع الاختيار – وفق ما يقتضيه السياق – على علة الدناءة ، أو إيجازا و اختصارا [١] ، لأنه من المحال أن يخاف النبي – صلى الله عليه وسلم – على الدجالين ، أو أنه يجهلهم ، أو أنه يجلّهم ، فتعينت الدناءة ، يتلوها الإيجاز والاختصار .

أما الرواية الثانية ، فقد ورد فيها الفعل (ينبعث) ، على وزن (ينفعل) وماضيه انبعث، على وزن (انفعل) والذي دائما ما يجيء " للدلالة على المطاوعة ، وأكثر ما تكون مطاوعة هذا البناء للثلاثي المتعدي لواحد"[٢]

وعلى نحو ما وقع لـ (بعث) و (انبعث) .

٨ – وكالفرق بين دلالتي (يحِل) بكسر الحاء ، و (يحُل) بضم الحاء

وعلى نحو ما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " فلا يحِلُّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات " . قال النووي : " هكذا الرواية : (فلا يحل) بكسر الحاء ..... وقال القاضي : ورواه بعضهم بضم الحاء ، وهو وهم وغلط "[٣] .

والدرس الدلالي هنا يتمثل في دلالة هذا البناء الصرفي : هل هو يَحِلُّ – بكسر الحاء أم بضمها ؟

١- السابق .

٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار الفكر – القاهرة ، ط (١٤) ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م ، ٢/٦١٠ .

٣- صحيح مسلم : ٩ / ٢٩٠ ، الحديث رقم ٢١٣٧ . ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه

وبالعودة إلى المعاجم ، فقد روتها المعاجم بالوجهين ، وقال الزبيدي : " حلَّ بالمكان ، وحل به ، يَحِلُّ ، ويَحُلُّ . وفي المصباح : حلَّ العذاب يَحُلُّ ويَحِلُّ حلولا ، هذه وحدها بالضم والكسر ، والباقي بالكسر فقط"[١]

على حين أن الخليل فرق بين الوزنين ، فقال : " ويكون المَحَلُّ : الموضع الذي يُحَلَّ فيه ، ويكون مصدرا ، وكلاهما بفتح الحاء ، لأنهما من حل يُحل ، أي : نزل ، وإذا قلت : المَحِلُّ – بكسر الحاء ، فهو من حل يَحِلُّ ، أي : وجب يجب: قال الله عز وجل ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ البقرة: ١٩٦

أي : الموضع الذي يحل فيه نحره ، والمصدر من هذا بالفتح أيضا ، والمكان بالكسر "[٢] .

وإن جاءت عبارة الزبيدي لتدل على أنه لا يرى بالضم بأسا ، يقول : " وفي اصطلاح أهل مصر يطلق على قدر النحاس ، لأنه يَحُلُّ فيه الطعام "[٣] ، فتأمل كيف ضم الحاء في عبارته .

٩ – وكالفرق بين (تَشَرَّفَ) و (يُشْرِفْ)

وعلى نحو ما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرّف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ فليعُذ به " .

١- اج العروس : ٣ / ٣٧٣ حلل .
٢- لسان العرب : ٢ / ٩٧٢ ، حلل .
٣- تاج العروس : ٣ / ٣٧٣ حلل .

فالفعل (تشرف) روى على وجهين مشهورين :

الأول : بفتح المثناة فوق ، والشين ، والراء .

الثاني : يُشْـرِف ، بضم الياء ، وإسكان الشين ، وكسر الراء ، وهو من الإشراف للشيء ، وهو الانتصاب ، والتطلع إليه ، والتعرض له ، ومعنى : تستشرفه : تقلبه وتصدعه ، وقيل هو من الإشراف ، بمعنى الإشفاء على الهلاك ، ومنه ، أشفى المريض على الموت وأشرف "[١] . وهو قريب مما قاله ابن حجر ، إذ يقول : " من تشرَّف لها – بفتح المثناة والمعجمة وتشديد الراء ، أي تطلع لها ، بأن يتصدى ويتعرض لها ، ولا يعرض عنها ، وضبط أيضا من الشرف ، ومن الإشراف "[٢] .

أما (تستشرفه) فمعناها : تهلكه ، " بأن يشرف منها على الهلاك ، يقال : استشرفت الشيء : علوته ، وأشرفت عليه ، يريد :من انتصب لها انتصبت له ،ومن أعرض عنها أعرضت عنه "[٣]

ولو عدنا إلى المعاجم لتثبيت أركان العبارة الدلالية ، لصرنا إلى ما سبق أن صرنا إليه ، قال في اللسان : " وأشرفَ الشيءَ ، وعلا الشيءَ : علاه ، وتشرف عليه كأشرف ، وأشرف الشيءُ : علا وارتفع "[٤] .

وقال : " والمشروف : الذي شرف عليه غيره ، .... والشرف : الإشفاء على خطر ، من خير أو شر "[٥] .

١- صحيح مسلم : ٩ / ٢٣٧ رقم ٢٨٨٦ .
٢- فتح الباري : ١٣ / ٣٤ رقم ٧٠٨٢ .
٣- السابق .
٤- لسان العرب : ٤ / ٢٢٤٢ ، شرف .
٥- السابق .

ونحوه في التاج : " ومن المجاز : الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر ، يقال في الخير : هو على شرف من قضاء حاجته ، ويقال في الشر : هو على شرف من الهلاك "[١] .

وقال أيضا : " وشارفوهم : أشرفوا عليهم "[٢] .

وقال في الصحاح : " مشرفته ، أشرفه ، مشرفا ، أي : غلبته بالشرف "[٣] .

وقال : " وتشرفت المربأ ، وأشرفته ، أي : علوته "[٤] .

وكما نرى : مزيدا من التوافق بين تأويل المتقدمين ، كالنووي وابن حجر ، وتأويل من بعدهما كالجوهري ، وابن منظور ، والزبيدي .

إذن ، فالخلاصة – فيما يتعلق بهذه الفتن ، التي أشار إليها النبي – صلى الله عليه وسلم – أن من اطلع فيها بشخصه قابلته بشرها ، وأن من خاطر فيها بنفسه أهلكته ، ومن غالبها غلبته[٥] .

٦- تاج العروس : ٥/ ٦٧٧ ، شرف .

١- تاج العروس : ٥ / ٦٨٢ ، شرف .

٢- الصحاح : ٣ / ١١٣٩ ، شرف .

٣- السابق .

٤- انظر : فتح الباري : ١٣ / ٣٤ رقم ٧٠٨٢ .

١٠ – دلالـــــــة اســـــــم الفاعـــــــــل

وقد ورد في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " فعــاث يمينــا ، وعاث شمالا " .

قال النووي : " هو بعين مهملة ، وثاء مثلثة مفتوحة ، وهــو : فعــل ماض ، والعيث : الفساد ، أو أشد الفساد والإسراع فيه ، يقال : عاث يعيث . وحكى القاضي أنه رواه (فعاث) بكسر الثاء منونة : اسم فاعل ، وهــو بمعنى الأول "[١] .

والدرس الدلالي هنا يتمثل في دلالة اسم الفاعل على ما يدل عليه اسم الفعل .

وقبل الخوض في هذه المسألة ينبغي الإشارة إلى تعريف ابــن مالــك لاسم الفاعل ، فهو – عنده – : " الصفة الدالة على فاعل جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه ، أو معنى الماضي "[٢] .

وبصورة أيسر : " الصفة الدالة على فاعل الحدث ، الجارية في مطلق الحركات والسكنات على المضارع من أفعالها ، في حالتي التذكير والتأنيث ، المفيدة لمعنى المضارع أو الماضي "[٣] .

وهو " يعمل عمل فعله ، إن أريد به الحال والاستقبال "[٤] .

١- صحيح مسلم ٢٨٩/٧ رقم ٢١٣٧، باب ذكر الدجال وصفته وما معه

٢- شرح التسهيل : ابن مالك ، تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبــة التوفيقيــة – القاهرة ، ٢ / ٤٣٧ .

٣- شرح ابن عقيل : ٢ / ١٠٦ ، هامش .

٤- شرح التسهيل : ٢ / ٤٤٠ .

والنبي – صلى الله عليه وسلم – يصف في حديثه المسيح الدجال ، فهو يدل على الاستقبال قطعا ، ولا يدل على الماضي .

واسم الفاعل – هنا – استوفى شروط النحاة ، ليعمل عمل فعله ، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول في رواية أخرى : (فعاثٍ) فهو هنا مسند ، أي إنه " يعمل إذا وقع خبرا "[١] ، والتقدير : فهو كعاثٍ ، أو : فهو عاثٍ .

إذن ، فقد صحت عبارة النووي حين سوى بين الفعل واسم الفاعل ، لأن المحصلة ، الدلالية التي يطرحها اسم الفاعل (عاثٍ) تكافئ إلى حد بعيد تلك التي يطرحها الفعل (يعيث) .

١١ – بين فعل وأفعل

وردت نصوص استخدم فيها الفعل ثلاثيا ، وأخرى استخدم فيها الفعل رباعيا، والمعهود

" أن أهل الحجاز ينسب إليهم استعمال الثلاثي ، وتميم وربيعة وقيس وأسد وأهل نجد ينسب إليهم الرباعي "[٢] .

ومما أصابه البحث من هذه الظاهرة قول جابر – رضي الله عنه – : " يوشك أهل الشأم ألا يجبى إليهم دينار ولا مُدْى . قلنا : من أين ذاك ؟ قال :

١- شرح ابن عقيل : ٢ / ١٠٧ .

٢- إعراب القرآن : النحاس ، تحقيق د . زهير غازي ، مكتبة النهضة العربية – بغداد ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، ١ / ١٥٧ هامش .

من قبل الروم ، ثم أسكت هُنـَيَّة ، ثم قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا، ولا يعده عددا "[١] .

فالدرس الدلالي هنا يتمثل في قول النووي : " وسكت وأسكت لغتان بمعنى صمت "[٢] ، هذه قضية وقف عندها ابن جني مرتين في كتابه (الخصائص) ، وقف عندها في الجزء الأول تحت عنوان : (الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا) ، ووقف عندها في الجزء الثاني تحت عنوان : (مذهب العربية في الجمع بين الأقوى والأضعف في عقد واحد) استعرض فيهما العديد من الأمثلة ، مما هو من باب فعل وأفعل ، نحو فتن وأفتن ، ووفي وأوفى ، وسقى وأسقى[٣] .

والحقيقة أن تتبع الوزنين في المعاجم وكتب اللغة – فيما يتعلق بهذه الأمثلة – قد أسفر عن وحدة المعنى في الوزنين ، في معظم الأحيان .

وهذا ما نص عليه الدكتور / عبدالغفار هلال ، قال : " ولكن وجد في بعض اللهجات أنها تستعمل الفعل الثلاثي مزيدا بالهمزة ، حيث تستعمله لهجات أخرى غير مزيد ، والمعنى في الوزنين واحد "[٤] .

وتأكيدا لما سبق فقد تتبعت هذه الأوزان المشار إليها سابقا ، فوافق التتبع ما قدرناه ، وللاستيثاق ، فقد عدت إلى مادة (فتن) في كل من

١- صحيح مسلم : ٩ / ٢٧٣ رقم ٢٩١٣ . باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل

٢- صحيح مسلم : ٩ / ٢٧٣ رقم ٢٩١٣.

٣- انظر الخصائص : ١ / ٣٦٨ ، ٢ / ٥٠٦ .

٤- اللهجات العربية : ص ٨٢ ،وانظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، تحقيق : محمد عبد القادرعطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ط (١) ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ١ / ١٦٣ .

الكتاب[١] وأساس البلاغة[٢] والصحاح[٣] والقاموس[٤] ، بل على مستوى أهل الحديث والأثر ، يقول ابن الأثير : " يقال : فتنته إذا امتحنته ، ويقال أيضا : أفتنته "[٥]

بل أصل الدكتور / عبدالغفار هلال لموقف القبائل من هذين الوزنين ، فنص على ما نص عليه الدكتور / زهير غازي ، وأضاف : " كما ينقل ابن خالويه عن أي زيد أنها لهجة لبني كلب"[٦] .

إذن فالمتفق عليه فيما يتعلق بهذا الأمر " أن حروف الزيادة ، التي تدخل الأفعال يكون لكل منها زيادة في المعنى ، وفقا للقاعدة التي تقول : زيادة المبني تدل على زيادة المعنى ..... ولكن قد تجيء عدة صيغ ، فيها بعض حروف الزيادة ، مع اتحاد في المعنى ، وهذا قد يرجع إلى اختلاف اللهجات "[٧] ، ضاربا المثل بالوزنين : فعلت ، وأفعلت .

بل ألف الزجاج مؤلفا بهذا الصدد ، سماه (فعلت وأفعلت) نص في أحد مواضعه على مثل تلك الحالة[٨] .

١- ٤ / ٥٦ .
٢- مادة فتن .
٣- ٥ / ١٧٤٥ فتن .
٤- مادة فتن .
٥- النهاية : ٣ / ٤١٠ – ٤١١ ، فتن .
٦-قال الدكتور عبدالغفار هلال : " فإن (فعل) لهجة لأهل الحجاز ، حيث يستعمل التميميون (أفعل) ويعزو أبو حيان مثال (أفعل) إلى تميم وربيعة وقيس " ، اللهجات العربية : ص ١٨٤ .
٧- اللهجات العربية: ص ٣٧٧ .
٨- ص ١٢٣،وكان بصدد الحديث عن (وفيت بالعهد)و(أوفيت به) .وللمزيد انظر: قضايا الخلاف الصرفي في ضوء علم اللغة المقارن :د . السيد محمد منازع علي ، ص٢١٩-٢٢٩.

كما أورد الأزهري في (معاني القراءات) ما يفيد تقديره لهذه الحقيقة، قال :

" قرأ نافع : ﴿ وأوصى بها ﴾ البقرة: ١٣٢،وقرأ الباقون بغير ألف" قال أبو منصور : " هما لغتان ، فاقرأ كما شئت "[١]

فتأمل كيف كان سلطان اللهجات وهيمنتها بمعطياتها على معطيات الدرس اللغوي ، فالحسم لما قررته اللهجات ، وعلى نحو ما سوت في المعنى بين (فعل) و (أفعل) مع زيادة المبني في الحالة الثانية .

١٢ – دلالة الأسماء المصغرة

وعلى نحو ما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة " [٢]. قال النووي : " وهما تصغير ساقي الإنسان ، لرقتها ، وهي صفة سوق السودان غالبا "[٣] .

فالدرس الدلالي هنا يتمثل في تصغير لفظة (ساق) ، وكذلك الفائدة الدلالية من وراء هذا التصغير ، وكما عكسها البناء الصرفي ، وقد ساق ابن يعيش ثلاث علل للتصغير :

إحداهما : تحقير ما يجوز أن يتوهم أنه عظيم .

والثانية : تقليل ما يجوز أن يتوهم أنه كثير .

والثالثة : تقريب ما يجوز أن يتوهم أنه بعيد .

١- معاني القراءات : الأزهري ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، تقديم : د . فتحي عبدالرحمن حجازي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤٢١هـ = ١٩٩٩م ، ص ٦٤ .

٢- صحيح مسلم : ٩ / ٢٦٢ رقم ٢٩٠٩ ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل

٣- السابق: ٢٧٢/٩

والرابعة : أضافها الكوفيون ، وسموا هذا القسم : تصغير التعظيم[١] .

ومن الطبيعي أن تصغير من خرب الكعبة ، إنما يكون بقصد تحقيره ، لا تقليله ، ولا تعظيمه ، ولا تقريبه ، فتصغير ذي السويقتين إنما يكون بقصد تحقيره .

والتصغير هنا إنما أصاب كلمة (ساق) ، والأصل في " الاسم المتمكن إذا صغر ، ضُمَّ صدره ، وفتح ثانيه ، وألحق ياء ساكنة ثالثه ، فصار : (سويق) على وزن (فُـعَيْل) وفعيل : هو " تصغير ما كان على ثلاثة أحرف من أي بناء كان "[٢] .

قال النووي : " هما تصغير ساقي الإنسان ، لرقتها ، وهي صفة سوق السودان غالبا "[٣] .

وعلى نحو ما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة "

قال النووي" قال هشام: خاصة أحدكم: الموت، وخويصة تصغير خاصة "[٤] .

وكما سبق ، فإن كلمة (خاصة) تصير – بعد تطبيق ضوابط الاسم المتمكن – خويصة وبناء على ما ذكره ابن يعيش – من أن الاسم المتمكن إذا صغر لا يتجاوز ثلاثة أمثلة : فُـعَيل ، وفُـعَيْعِل ، وفُـعَيْعِيل[٥] – فإن خويصة على وزن فُـعيل ، وعلته التعظيم

١- شرح المفصل : ٥ / ٢٠٢ – ٢٠٣ .
٢- السابق : ٥ / ٢٠٥ .
٣- صحيح مسلم : ٩ / ٢٧٢ .
٤- صحيح مسلم : ٩ / ٣١٣ رقم : ٢٩٤٧ .
٥- شرح المفصل: ٢٤٨/٥ ، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم

الدلالـــــة النحويـــة

وقد تضمنت :

وعلى نحو ما ورد في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– :" لا تقــوم الساعة ، حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ".

قال النووي: "قال الجوهري: "الأغلب عليه – أي: على دابق – التذكير والصرف، لأنه في الأصل اسم نهر. قال : وقد يؤنث ، ولا يصرف " [١].

وما ذكره النووي نص عليه بتمامه الجوهري ، قال: " والأغلب عليــه – أي: على دابق – التذكير والصرف ، لأنه في الأصل اسم نهر" [٢].

وعليه ، فلفظة (دابق) إن كانت مذكرة ، فإنها تدل على موضع أو بلد ، وقد ذكر النووي أن الأعماق ودابق موضعان بالشام بقرب حلب [٣] وعندئذ وعندئذ فإنها تصرف ،لأن علة العلمية لا تكفي وحدها لمنــع الكلمــة مــن الصرف.

وإن كانت مؤنثة ، فإنها تدل على اسم نهر ، وعندئذ فإنهــا تمنــع ، لوجود علتين من العلل التسع، التي تمنع من الصرف ، والتي يجمعها قــول الناظم:

عدل ووصف وتأنيث ومعرفة — وعجمة ثم جمع ثم تركيب

والنون زائدة من قبلها ألف — ووزن فعل وهذا القول تقريب

١– صحيح مسلم : ٢٤٩/٩ رقم ٢٨٩٧ .

٢ – الصحاح: ١٢١٧/٤ دبق ، وانظر: لسان العرب: ١٣٢٤/٢ دبق .

٣– صحيح مسلم : ٢٤٩/٩

فضلا عن ألفي التأنيث المقصورة ، أو الممدودة، والتي تقوم إحداهما مقام علتين [١].

إذن ، فكلمة (دابق) تمنع من الصرف ، إن كانت مؤنثة ،إذ سيتوافر لها علتان: العلمية ،لأنها في الأصل اسم نهر، والتأنيث ، وبالتالي فلا تصرف .

أما إذا ذكرت على أنها اسم موضع بالشام ، فإنها تصرف، لغياب علة التأنيث .

١- دلالة نون التوكيد الثقيلة

وعلى نحو ما ورد في قول النبي- ﷺ-:"فإما أدركنَّ أحدٌ فليأت النهر الذي يراه نارا، وليغمضْ" [٢].

قال النووي : " هكذا في اكثر النسخ (أدركنَّ) وفي بعضها (أدركه) وهذا الثاني ظاهر ، وأما الأول فغريب من حيث العربية ، لأن هذه النون لا تدخل على الفعل.

قال القاضي: "ولعله (يدركه) يعني : فغيَّره بعض الرواة ".[٣]

والدرس الدلالي هنا يتمثل في إسناد الفعل الماضي – وعلى غير المعتاد – إلى نون التوكيد الثقيلة (أدركنَّ) ، فالمعلوم " أن هاتين النونين :

١- شرح ابن عقيل :٣٢١/٢ ، وانظر البهجة المرضية في شرح الألفية : السيوطي، تحقيق : د. أحمد إبراهيم محمد علي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط (١) ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠م ص ٣٨٨ .

٢- صحيح مسلم : ٢٨٧/٩ رقم ٢٩٣٤ .، باب ذكر الدجال وصفته وما معه

٣- السابق : ٢٩٤/٩

الشديدة والخفيفة من حروف المعاني ، والمراد بهما التأكيد، ولا تدخل إلا على الأفعال المستقبلة خاصة، وتؤثر فيها تأثيرين : تأثيرا في لفظها ، وتأثيرا في معناها ، فتأثير اللفظ: إخراج الفعل إلى البناء ، بعد أن كان معربا، وتأثير المعنى: إخلاص الفعل للاستقبال بعد أن كلن يصلح لهما " (١).

والنون هنا مشددة ، والمشددة " أبلغ في التأكيد من المخففة ، لأن تكرير النون ، بمنزلة تكرير التأكيد " (٢).

فإذا ألحقت هذه النون الفعل، كان ما قبلها مفتوحا، مع الواحد المذكر، شديدة كانت أو خفيفة، سواء أكان الفعل في موضع جزم ، أو في موضع رفع ... وإنما كان ما قبل هذه النون مفتوحا هنا ،لأن آخر الفعل ساكن لحدوث البناء فيه، عند اتصال هذه النون به ،لأنها تؤكد معنى الفعلية ،فعاد إلى أصله من البناء ، والنون الخفيفة ساكنة ، والشديدة : نونان الأولى منها ساكنة، فاجتمع ساكنان، فكرهوا ضمها أو كسرها " (٣).

إذن فهذا الفعل على صورته تلك لا يؤدي الغرض المنوط به بصورة مقبولة ، لمخالفته في هيئته لأصول القواعد الصرفية ،والمخرج من الناحية النظرية إنما هو الرواية الثانية (أدركه) ، ولهذا وصفه النووي بقوله : " وهذا الثاني ظاهر"، بل كان هذا التقدير هو أحد خيارات القاضي – رحمه الله– " . وكما سبق.

١– شرح المفصل :٩/ ٦٨ .

٢– السابق .

٣– السابق .

مع الأخذ في الاعتبار – ما لم يكن هناك مخرج لهذه النون – أن النص النبوي قد أدي المراد منه على المستوى الدلالي، فقد تكون لدى المتلقي محصلة دلالية لما يريده النبي – صلى الله عليه وسلم-.

والمخرج الثاني أن يكون الفعل مضارعا، على تقدير فإما يدركنَّ أحد ...

٢- دلالة نون الوقاية

وعلى نحو ما ورد في قول النبي – صلى الله عليه وسلم-: "غيرُ الدجال أخوفني عليكم"[١]

قال النووي : " هكذا هو في جميع نسخ بلادنا . (أخوفني) بنون بعد الفاء، وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين، قال : ورواه بعضهم بحذف النون، وهما لغتان صحيحتان، ومعناهما واحد" [٢].

والدرس الدلالي هنا يتمثل في توجيه الرواية بثبوت النون والرواية بحذفها، وما يترتب على ذلك من تغير في دلالة التركيب .

والجواب – كما ذكر النووي – أنهما لغتان صحيحتان، ومعناهما واحد .

أما نون الوقاية ، فهي نون يؤتى بها بين الفعل وياء المتكلم، وفائدتها أنها تتحمل الكسرة الواجبة قبل ياء المتكلم، فتقي الفعل من الكسر، وهي حرف علة ،لا عمل له ، ولا محل له من الإعراب [٣].

١- صحيح مسلم : ٢٨٩/٩ رقم ٢١٣٧ باب ذكر الدجال وصفته وما معه

٢- صحيح مسلم : ٢٩٥/٩ .

٣- المنهاج في القواعد والإعراب: د. محمد الأنطاكي ، تحقيق : سمير إبراهيم بسيوني، مكتبة جزيرة الورد – مصر ، ط (١) ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م ،ص٣١١ .

وعليه ، فالنون في (أخوفني) لوقاية أفعل التفضيل من الكسر، حين اتصلت به ياء المتكلم .

وأضاف ابن هشام أنها تسمى نون العماد أيضا ، وأنها تلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بواحد من ثلاثة ، أحدها : الفعل متصرفا كان أو جامدا ، نحو: أكرمني أو عساني.

والثاني: اسم الفعل، نحو: دَرَاكِني ، أي: أَدْرِكني . والثالث : الحرف، نحو: إنني ، وهي جائزة الحذف مع إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ ، وغالبة الحذف مع لعل، وقليلته مع ليت [١].

والغموض هنا يأتي من جهة إضافة (أخوف) إلى ياء المتكلم مقرونة بنون الوقاية ، فهذا الاستعمال إنما يكون مع الأفعال المتعدية ،وأجاب النووي :أن الأصل إثباتها ، فلما ترك هذا الأصل نبه عليه ، واحتج له بشاهد يزيد بن محرم الحارثي :

وما أدري وظني كلُّ ظنٍّ أمسلمني إلى قومي شَرَاحِي [٢]

ولكن قد يحذف " للضرورة آخر الكلمة في غير النداء، بشرط كونها صالحة للنداء" [٣].

١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري ، المكتبة العصرية – صيدا ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م ، ٥٥٧/١ . رقم ٥٦٣

٢- البيت من الوافر ، والشاهد فيه : قوله: (أمسلمني) حيث أدخل نون الوقاية على الاسم ، وأراد الفعل (يسلمني) والمراد بـ (شراحي): شراحيل، فرخمه في غير النداء ، للضرورة، والترخيم: حذف أواخر الكلم في النداء، نحو: يا سعا ، والأصل : يا سعاد. شرح ابن عقيل:٢٨٨/٢ .

٣- شرح ابن عقيل : ٢٩٤/٢.

هذا ، وقد ذكر ابن هشام أن الذي في (أمسلمني) ونحوه تنوين ، لا نون، وبنى ذلك على قوله في (ضاربني) الباء منصوبة ، وقد رد هذا الزعم بما ورد في حديث الباب من صحيح مسلم : " غير الدجال أخوفني عليكم" ، والمعهود أن التنوين لا يجامع الألف واللام ، ولا اسم التفضيل ، لكونه غير منصرف ، وما لا ينصرف لا تنوين فيه [١].

وأضاف النووي – في معرض دفاعه عن تأويل هذا النص – أن لأفعل التفضيل شبها بالفعل وخصوصا بفعل التعجب ، فجاز أن تلحقه النون هنا[٢].

بل أضاف احتمالا ثالثا، بناه على إبدال النون من اللام ، كما ابدلت في (لعن ، وعن) بمعنى لعلَّ وعلَّ [٣] وهو إبدال مستساغ ، لأنهما من مخرج واحد ، طرف اللسان مع اللثة العليا، وكلاهما صوت مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة ، منفتح ، مستفل ، ذلق [٤].

وعليه، فقد اضحى معنى الحديث : " غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم ،ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه : أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المصلون، ومعناه أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المصلون [٥].

١- انظر: مغني اللبيب: ٥٥٧/٢ .

٢- صحيح مسلم : ٩/ ٢٩٥ .

٣- السابق .

٤- انظر: دراسات في اللهجات العربية :د. عبدالله باز ، مكتبة اللغة العربية – الزقازيق ، ط (٢) ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م ص ١٨٦ . وقد ضرب المثل لإبدال اللام نونا بإبدال أهل الشرقية اللام نونا في قولهم : إسماعيل ، فيصير : إسماعين.

٥- صحيح مسلم: ٢٩٦/٩ .

٣- دلالـــة (لن) النافيـــــة

وقد ورد ذكرها في قول النبي – صلى الله عليه وسلم-: " تعلموا أنـــه لن يرى أحد منكم ربه – عز وجل – حتى يموت " .

قال المازري :" هذا الحديث فيه تنبيه على إثبات رؤية الله تعالى فـــي الآخرة ، وهو مذهب أهل الحق ، ولو كانت مستحيلة كما يزعم المعتزلـــة ، لم يكن بالتقييد بالموت معنى ، والأحاديث بمعنى هذا كثيرة...

قال القاضي : ومذهب أهل الحق أنها مستحيلة في الدنيا ، بل ممكنة ، ثم اختلفوا في وقوعها ، ومن منعه تمسك بهذا الحديث ، مع قوله تعالى " لا تدركه الأبصار" على مذهب من تأوله في الدنيا ... وقال أكثر مانعيهـــا فـــي الدنيا : سبب المنع ضعف قوة الآدمي في الدنيا من احتمالهـــا ، كمـــا لـــم يحتملها موسى – صلى الله عليه وسلم – في الدنيا "[١] .

والدرس الدلالي هنا يتعلق بدلالة (لن) : هل هي لنفي المستقبل فقط ؟ أم للنفي على التأبيد ؟ وما الفرق بينها وبين لا ؟[٢]

أما سيبويه فقد اعتبر (لن) نفيا لقوله : سيفعل [٣].

وزاد ابن هشام : " ولا تقتضي تأبيد النفي " [٤].

١- صحيح مسلم: ٢٨٥/٩ رقم ٢٩٣١ . باب ذكر ابن صياد

٢- وهو عنوان بحث لي أجازته اللجنة العلمية بعنوان (لا النافية بين نفي الأصل ونفي التمام، وبين نفي المستقبل والنفي على التأبيد).

٣- الكتاب: ٢٢٠/٤ .

٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمـــد محيـــي الـــدين عبدالحميد ، ط (٥) ١٣٩٩ هـــ = ١٩٧٩م ، ٤/ ١٤٨ .

أما (لا) فتكون نفيا لقوله : يفعل ، ولم يقع الفعل ، فنقول : لا يفعل "[١].

وبإمعان النظر فيما طرحه سيبويه نجد أن الفرق بينهما يكمن في الفرق بين الفعلين : سيفعل ويفعل ، فالسين للمستقبل ،ونفيها نفي للمستقبل فحسب ، أما نفي (يفعل) فهو نفي لأصل الفعل ، ومن ثم استحالة وقوعه، فهو نفي على التأبيد .

في حين أن ابن هشام نفى التأبيد – وكذلك التاكيد – عن (لن) ، قال في قطر الندى : " ولن حرف يفيد النفي والاستقبال بالاتفاق ، ولا يقتضي تأبيدا، خلافا للزمخشري في أنموذجه ،ولا تأكيد،خلافا له في كشافه " [٢].
ثم زاد في مغني اللبيب : " ولو كانت للتابيد لم يقيد منفيها باليوم في قوله تعالى : ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم:٢٦ ، ولكان ذكر الأبد في﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ البقرة: ٩٥ تكرارا ، والأصل عدمه [٣].

كما نقل الماردي في كتابه ، وابن عصفور لدعوى الزمخشري من أن " لن لتأكيد ما تعطيه(لا) من نفي المستقبل" ، قال: " وما ذهب إليه دعوى لا دليل عليها ، بل قد يكون النفي بـ (لا) آكد من النفي بـ(لن) ، لأن النفي بلا قد يكون جوابا للقسم ، والمنفي بـ (لن) لا يكون جوابا له ، ونفي الفعل إذا أقسم عليه آكد" [٤].

١- الكتاب ٢٢٢/٤ .

٢- قطر المدى وبل الصدى : ابن هشام الأنصاري ، منشورات المكتبة العصرية – صيدا ، ١٩٨٤م ، ص٥٦ .

٣- مغني اللبيب : ١/ ٣١٣ .

٤-الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة = بيروت ،ط (٢) ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ، ص ٢٧٠.

ثم نقل أبو حيان تراجع الزمخشري عن رأيه باقتضاء (لن) النفي على التأبيد، قال: " قال الزمخشري: ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل إلا أن في (لن) تأكيدا وتشديدا ليس في (لا) فأتى مرة بلفظ التأكيد ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ البقرة: ٩٥ ومرة بغير لفظه : ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ الجمعة:٧ ، وهذا رجوع عن مذهبه، في أن (لن) تقتضي النفي على التأبيد إلى مذهب الجماعة في أنها لا تقتضيه" [١].

كما أضاف السهيلي تأصيلا لامتداد معنى النفي بـــ (لا) وعلى العكس من (لن)، خلاصته أن: حرف " لا: لام بعدها ألف، يمتد بها الصوت ، ما لم يقطعه تضييق النفس ، فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها، ولن بعكس ذلك"[٢].

هذا، وقد أشار ابن مالك إلى أن ما حمل الزمخشري على ذلك إنما هو اعتقاده بأن الله لا يرى ، وهو باطل، كما أشار إلى موافقة ابن عطية لرأي الزمخشري ، مستندا في قوله تعالى : ﴿لَن تَرَانِي﴾ الأعراف /١٤٣ ، إلى أن موسى لا يراه أبدا، ولا في الآخرة، ثم عقب ابن مالك بقوله: " لكن ثبت في الحديث المتواتر أن أهل الجنة يرونه ، فلذا اخترته دون التأبيد "[٣].

١- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط (١) ١٣٢٨هـ ، ٢٦٧/٨ .

٢- نتائج الفكر في النحو : السهيلي، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض للنشر والتوزيع ، ط (٢) ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م ، ص ١٣١ . وانظر: أوضح المسالك ١٤٩/٤ ، محمد محيي الدين .

٣-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية : السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت ،٤/٢ .

وعليه، فمن المناسب أن يقترن النفي على التأبيد بغاية مستحيلة، ونفي الاستقبال بغاية ممكنة،وعلى نحو ما جاء في آية الأعراف:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ الأعراف:٤٠ [١]

أما في آل عمران فالغاية ممكنة :﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران: ٩٢[٢]

بل كفى النفي بـ (لا) دلالة على التأبيد قوله تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف: ٤٩

وعليه، فما ورد بصحيح مسلم من قول النبي – صلى الله عليه وسلم: " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه – عز وجل – حتى يموت " . فالنفي هنا بلن قيد بغاية، وهي الموت ،إذن فهو ليس على التأبيد .

هذا، وقد سبق أن تعلقت المعتزلة بمثل هذا السياق الوارد في الحديث، للقول بنفي الرؤية ، وذلك في آية الأعراف (١٤٣) : ﴿لَن تَرَانِي﴾ ، كما تعلقت بآية الأنعام (١٠٣) : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

أما آية الأعراف ، فقد مر الحديث عن " قصور معنى النفي في (لن) ودلالتها على القرب في أكثر الكلام " [٣]، مع قيام الأدلة النقلية والعقلية على

١– فالغاية هنا غاية مستحيلة ، فمحال أن يدخل الجمل في سم الخياط .

٢– أما الغاية هنا فغاية ممكنة .

٣– نتائج الفكر: ص ١٣٢ .

جواز الرؤية، والتي منها قوله –صلى الله عليه وسلم– : " إنكم ترون ربكم يوم القيامة "[١] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣) ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣

فهنا " عدى النظر بـ (إلى) الدالة على الغاية ، وهو نظر صادر من الوجوه، والنظر الصادر من الوجوه يكون بالعين ،بخلاف النظر الصادر من القلوب، فإنه يكون بالبصيرة والتدبر والتفكر"[٢]

ومنها قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾المطففين: ٢٣

فالله تعالى يقول :﴿ يَنظُرُونَ﴾ ، فلم " يذكر المنظور إليه ، فيكون عاما لكل ما يتنعمون بالنظر إليه "[٣].

ومنها قوله تعالى﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾يونس: ٢٦

فالزيادة : هي النظر إلى وجهه تعالى ، هكذا فسره النبي –صلى الله عليه وسلم– في رواية مسلم[٤]

ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ق: ٣٥

١– مسند احمد بن حنبل: المكتب الإسلامي–بيروت ، ط (٤) ١٤٠٣ هـ= ١٩٨٣م ، ١٦/٣، مسند أبي عوانة ، دار المعرفة– بيروت ، ص ١٥٩ .

٢– شرح العقيدة الواسطية: ابن عثيمين ، دار العقيدة – القاهرة ، ط(١) ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م ، ص ٢٨٣ .

٣– السابق : ص ٢٨٤ .

٤– صحيح مسلم: الحديث رقم ١٨١ .

وقد" فسر المزيد كثير من العلماء بما فسربه النبي –صلى الله عليه وسلم– الزيادة ، و هي النظر إلى وجه الله الكريم" [١].

وهناك استدلال آخر ساقه الشافعي، وهو قوله تعالى في شأن الكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين: ١٥

" ووجه الدلالة أنه ما حجب هؤلاء في الغضب ، إلا رآه أولئك في الرضا، فإذا كان أهل الغضب محجوبين عن الله، فأهل الرضا يرون الله –عز وجل"[٢] .

ومن الأدلة العقلية على جواز الرؤية – وكما جاء في حاشية الصاوي " أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل، وهو جائز، وذلك في قوله تعالى لموسى :﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِيَ ۚ﴾ الأعراف: ١٤٣

فالمعلق على الجائز جائز، ومنها : لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى عليه السلام، إذ لا يجوز على النبي سؤال المحال ، إذ هو جهل ، ويستحيل على النبي الجهل ، ومنها: أن يقال : إن الله موجود ، فكل موجود يصح أن يرى، فالله يصح أن يرى"[٣].

هذا، وقد جاء رد ابن حزم على المعتزلة – وقد استدلوا على نفي الرؤية بقوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ – من أبلغ الردود ، وخلاصته :" أن الله تعالى إنما نفى الإدراك ، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على

١– شرح العقيدة الواسطية: ص ٢٨٧ .

٢– شرح العقيدة الواسطية: ص ٢٨٧.

٣– حاشية الصاوي على الجلالين : المطبعة الأزهرية بمصر، ١٩٢٦م = ١٣٤٥هـ ، ٣٢/٢ .

النظر والرؤية "[١]. إذ الإدراك هو الإحاطة ، أما الرؤية فهي النظر ، فالله يرى ولا يدرك كنهه[٢] . كما تمكن ابن حزم من حسم هذا النزاع بما استقرت عليه دلالة قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ الشعراء: ٦١

فقد " فرق الله –عز وجل – بين الإدراك والرؤية فرقا جليا " ، فموسى هنا نفى الإدراك مع وجود الرؤية ،فدل ذلك على أن أحدهما يفارق الآخر تماما .

أعود إلى عبارة النبي–صلى الله عليه وسلم – في صحيح مسلم: " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت "، لنرى فائق الدقة في عبارة النبي–صلى الله عليه وسلم – وكيف التقت –في دلالتها– مع ما استقرت عليه المفاهيم اللغوية السليمة إلى وقتنا هذا ، ولعل هذا يمثل ضربا من ضروب الإعجاز اللغوي .

١– الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ، مكتبة السلام العالمية– القاهرة ٢/٣ . وانظر : الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث– القاهرة، ط(٣) ١٤٠٥ هـ=١٩٨٥م ، ٢/٢٢٦.

٢– الفصل : ٢/٣.

الخـــــاتـــمة

رصد هذا البحث ظاهرة : (الدرس الصوتي والدلالي في كتاب :الفتن، بصحيح مسلم)

وقد أسفرت مراحله الانتقالية عن جملة من النتائج والتوصيات ، كان للباحث حظه المتواضع في رصد بعض ظلالها ، وقد جاءت النتائج موزعـــة على الدرسين ، كما يلي :

القسم الأول : نتائج الدرس الصوتي

١-أشار البحث إلى غناء النصوص النبوية بالظواهر الصوتية .

٢-لاحظ البحث تميز صحيح مسلم بعرض الروايات المتعددة للنص الأساسي .

٣-أشار البحث إلى موافقة أقوال اللغويين لما رسمته النصوص النبويـــة مـــن ظواهر صوتية .

٤-لاحظ البحث تميز علماء العربية بتقعيد القواعد اللغوية والأصول العلميـــة التي تكفل علاج سائر القضايا ،وكما وردت في النصوص النبوية .

٥-لاحظ البحث تمثل كل الظواهر الصوتية في متون النصوص النبويـــة التـــي عالجتها الدراسة

٦-لاحظ البحث تفرد العربية من بين سائر اللغات بإفضاء ألفاظها إلـــى معـــان متقاربة، تصب في غاية واحدة، مهما تنوعت المصادر، واختلفت الأصول.

٧-رصد البحث توافق علماء الأصوات فيما يطرحونه من مفـــاهيم تتعلـــق بالدراسة الصوتية

٨- أشار البحث إلى ثراء النص النبوي بقضايا اللغة على اختلافها ، لاسيما وقد قتل القرآن الكريم بحثا، في الوقت الذي ظل فيه النص النبوي بكرا إلى حد ما .

٩- أشار البحث إلى موافقة معطيات النص النبوي لأصول علم اللهجات .

١٠-أشار البحث إلى دور الوحدات الصوتية البسيطة – الحروف أو الحركات – في تنوع دلالة الكلمة بتنوع هذا الصوت البسيط ، بل إلى تشعب المعاني المعجمية ، واتساع رقعتها الدلالية .

١١- أشار البحث إلى صحة السند ، وكيف كانت مجزئة وكافية للحكم بصحة البناء الذي جادت به الرواية .

١٢-لاحظ البحث اعتداد بعض اللغويين بمذهب العوام في النطق .

١٣- أشار البحث إلى أن إطباق معطيات العصور اللغوية على مسألة بعينها ليبعث على الاطمئنان صوب هذه المسالة .

١٤-أشار البحث إلى صحة ما قرره المتقدمون من المعطيات الصوتية ، التي أقرها علم اللغة الحديث، وصحة ما ترتب على هذه المعطيات من نتائج علمية .

القسم الثاني : نتائج الدرس الدلالي

١-لاحظت الدراسة توافقا دلاليا بين دلالات الألفاظ في سياقاتها الحديثية ودلالاتها في المعاجم .

٢-أشار البحث إلى موافقة المتقدمين ،كالنووي وابن حجر -في تأويلهما نصوص النبي- صلى الله عليه وسلم – لرأي المعجميين ، كالجوهري وابن منظورو الزبيدي ،الأمر الذي يعكس التجانس الدلالي في اقوال النبي- صلى الله عليه وسلم – وأنه لم يعمد إلى أي لون من ألوان اللبس أو الغموض الدلالي ، على كثرة إصداراته من الأقوال والأفعال .

٣-أشار البحث إلى أن تلاقي مفهوم ابن حزم للأضداد مع مفهوم اللغويين المحدثين، ليعد دافعا قويا للقطع بأن هذه الصورة التي اتفقوا عليها إنما هي الأصل في مسألة الأضداد .

٤-لاحظ البحث توافقا رائعا في معظم روايات مسلم – على كثرتها – لما جادت به المعاجم ، فلم تشذ لفظا ولا معنى عن معطيات المعاجم .

٥-أشار البحث إلى دور السياق في خلق شكل من أشكال المناسبة والتجانس بين الألفاظ الواردة فيه .

٦- أشار البحث إلى دور المعاجم الجوهري في فك كثير من رموز الخلاف المتعلقة بالقضايا الدلالية .

٧- أشار البحث إلى سلطان اللهجات في تقرير حقائق ، قد لا تواكب الدرس اللغوي ، أو التأصيل اللغوي في بعض الأحيان .

٨- لاحظ البحث دور السياق في تحديد بعض المعاني ، كما لاحظ أن من دواعي الغموض في المعاني إقحام اللغات المتعددة سياق النصوص ،كما وقف البحث عند دور المعاجم في طرح كل المناسبات، التي تتعلق بالنص موضع الدراسة .

٩-وقف البحث عند صحة عبارة النبي -صلى الله عليه وسلم - في كل الأحوال ،وكيف اتسقت هذه العبارة دلاليا مع علم اللغة الحديث .

١٠-أشار البحث إلى اكتظاظ النص النبوي - باعتباره نصا شرعيا - بالعديد من الظواهر الدلالية على اختلاف أنواعها .

١١-لاحظ البحث تشابك الكثير من القضايا الدلالية المتمخضة عن النص النبوي .

١٢-أشار البحث إلى توافق مدلولات النصوص النبوية مع ضوابط العربية ، وذلك فيما يتعلق بدلالة الجموع ، ومناسباتها لسياقاتها .

١٣- وأخيرا فإن الدراسة توصي بلفت نظر الباحثين والباحثات إلى النصوص النبوية ، حتى تأخذ حقها من البحث والدراسة ، وما قد يترتب على ذلك من بروز قضايا لم يسبق لها أن بحثت في سوابق لغوية .

قائمة المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم : كتاب العربية ، ومصدرها الأول .

٢-الإبدال : ابن السكيت ،تقديم : د.حسين محمد محمد شرف ، مراجعة: الأستاذ علي الجندي ناصف ،الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م.

٣-الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث- القاهرة ط(٣) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م

٤-الأجناس من كلام العرب، وما اشتبه في اللفظ، واختلف في المعنى: أبوعبيد القاسم ابن سلام الهروي، تصحيح : امتياز علي عرش الرامفوري، دار الرائد العربي – لبنان، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م

٥-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني،دار المعرفة- بيروت.

٦-أساس البلاغة: الزمخشري، دار صادر – بيروت.

٧-أصوات اللغة العربية:د.عبدالغفار حامد هلال، مكتبة وهبة- القاهرة، ط(٣) ١٤١٦هـ=١٩٩٦م

٨-الأصول والفروع: ابن حزم الاندلسي، تحقيق :د.محمد عاطف العراقي،و د. سهير فضل الله و د.إبراهيم إبراهيم هلال ، دار النهضة العربية- القاهرة ط(١) ١٩٧٨م.

٩-الأضداد في اللغة: ابن بشار الأنباري،تحقيق: محمد إبراهيم الدسوقي، مكتبة القرآن – القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٠-إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي، مكتبة النهضة بغداد، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

١١-الأفعال: ابن القوطية، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي- القاهرة،ط(٣) ١٤٢١هـ=٢٠٠١م

١٢-أوضح المسالك إلىألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط (٥) ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

١٣-البحرالمحيط: أبوحيان الأندلسي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط (١) ١٣٢٨هـ

١٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : الفيروز أبادي ، تحقيق : أ . محمد علي النجار ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء الترث الإسلامي – القاهرة ط ٣ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

١٥-البهجة المرضية في شرح الألفية: السيوطي، تحقيق: د. أحمد إبراهيم محمد علي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ،ط(١) ١٤٢١ =٢٠٠٠م

١٦-تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، تحقيق الدكتور نواف الجراح، مراجعة: د.سمير شمس ،دار صادر- بيروت ،ط (١) ٢٠١١م

١٧- التبيان في تصريف الأسماء : د / أحمد حسن كحيل ، الطبعة السادسة

١٨-التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية: محمد محيي الدين عبدالحميد- القاهرة ط (١) ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م

١٩-التعريفات : الجرجاني ، تحقيق: محمد عبدالحكيم القاضي، دار الكتاب المصري- القاهرة ط (١) ١٤١١هـ=١٩٩١م

٢٠- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالأمثلة العامية والأمثلة الفقهية: ابن حزم الأندلسي ، تحقيق:د.إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت ١٩٥٩م

٢١-التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري، مؤسسة قرطبة- القاهرة،الطبعة الأولى

٢٢-تيسيرات لغوية: د. شوقي ضيف، دار المعرفة- القاهرة ١٩٩٠م

٢٣-ثلاثة كتب في الأضداد: للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت ،ويليها ذيل في الأضداد للصنعاني، نشرها: د:أوغست هفنر، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩١٢م

٢٤-الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم :محمد فؤاد عبدالباقي ،أشرف على طبعه: قصي محب الدين، المكتبة السلفية – القاهرة

٢٥- جمهرة اللغة : محمد بن الحسن بن دريد ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة

٢٦-الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، تحقيق: د.فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، منشورات دارالآفاق الجديدة – بيروت ط (٢) ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م

٢٧-حاشية الصاوي على الجلالين: المطبعة الأزهرية بمصر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده،١٣٤٥هـ=١٩٢٦م

٢٨- الخصائص : ابن جني، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت ط (٢) ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

٢٩- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث : د. حسام البهنساوي ، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة ط (١) ٢٠٠٥م

٣٠-دراسات في التجويد والأصوات اللغوية: د. عبدالحميد أبوسكين، كلية اللغة العربية-القاهرة ، ط (٢) ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

٣١- دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين- بيروت ، ط (١٠) ١٩٨٣م

٣٢- دراسات في اللهجات العربية: د.عبدالله أحمد محمد باز، كلية اللغة العربية- الزقازيق، ط(٢) ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م

٣٣-الدر المنثور في التفسير بالماثور: السيوطي، المطبعة الميمنية بمصر، ١٣١٤هـ

٣٤- دور الكلمة في اللغة: ستيفان أولمان، ترجمة : د.كمال بشر، دار غريب- القاهرة، ط(١٢) ١٩٩٧م

٣٥-سر صناعة الإعراب: ابن جني، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية – القاهرة

٣٦- سير أعلام النبلاء: الذهبي، دار ابن الجوزي -القاهرة ، ط (١) ١٤٣٧هـ=٢٠١٦م

٣٧-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: دار الفكر-القاهرة ط(١٤) ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م

٣٨-شرح التسهيل ابن مالك، تحقيق: أحمد السيد ، سيد أحمد علي،المكتبة التوفيقية – القاهرة

٣٩-شرح العقيدة الواسطية :ابن عثيمين ، دار العقيدة – القاهرة، ط (١) ٢٠٠٣م=١٤٢٤هـ

٤٠- -شرح المفصل: ابن يعيش ،تحقيق : د. إبراهيم محمد عبدالله ، دار سعدالدين- دمشق

٤١-الصاحبي في فقه اللغة العربية، ومسائلها، وسنن العرب في كلامها : ابن فارس ، تحقيق: أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط (١) ١٤١٨هـ=١٩٩٧م

٤٢-الصحاح: الجوهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط (١) ١٤١٩هـ=١٩٩٩م

٤٣-صحيح مسلم بشرح النووي: تحقيق: عصام الصبابطي ،حازم محمد ، عماد عامر، دار الحديث – القاهرة ، ط(٣) ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م

٤٤-الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري: د. عادل هادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية- بورسعيد ،ط (١) ١٤٢٥ه=٢٠٠٥م

٤٥- علم الأصوات: د. كمال بشر، دار غريب- القاهرة، ط (٥) ١٩٩٨م

٤٦- علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة ، ط (٥) ١٩٩٨م

٤٧-علم الدلالة والمعجم العربي: د. عبدالقادر أبو شريفة ، حسين لافي ، داود غطاشة ، دار الفكر- عمان ، ط (١) ١٩٨٩م

٤٨-علم اللغة :د. إبراهيم أبو سكين، دار الزهراء – الزقازيق، ط (١) ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م

٤٩- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران ، دار الفكر العربي- القاهرة، ط(٢) ١٤٢٠هـ =١٩٩٩م

٥٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق : محب الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، تصحيح: قصي محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية- القاهرة ، ط(٣) ١٤٠٧ هـ

٥١- الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي، مكتبة السلام العالمية- القاهرة

٥٢- فصول في فقه العربية : د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط(٦) ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م

٥٣- فعلت وأفعلت : الزجاج ، تحقيق: د. رمضان عبدالتواب ،و د. صبحي التميمي، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م

٥٤-فقه اللغة وأسرار العربية: أبو منصور الثعالبي ، دار مكتبة الحياة- لبنان ١٣١٨ هـ

٥٥- الفكر الصوتي في التراث العربي: د. محمد عزت القناوي ، دار الجيل – بيروت ، ط (١) ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م

٥٦- في اللهجات العربية: د. إبراهيم انيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، ٢٠٠٣م

٥٧- القاموس المحيط: الفيروزآبادي ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط (١) ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م

٥٨- قطر الندى وبل الصدى : ابن هشام الأنصاري،منشورات المكتبة العصرية -صيدا ١٩٨٤م

٥٦- الكتاب (كتاب سيبويه): تحقيق ودراسة: عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

٥٩- كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي ، دار صادر- بيروت.

٦٠- لسان العرب : ابن منظور، دار المعارف- القاهرة

٦١- لطائف الإشارات لفنون القراءات : القسطلاني ، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٣م

٦٢- اللغة بين العقل والمغامرة: د. مصطفي مندور، منشأة المعارف- الإسكندرية ، مطبعة أطلس- القاهرة ١٩٧٤م

٦٣- اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول (في النظامين الصوتي والصرفي) : د. أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب - طرالس - ليبيا ١٩٨٣م

٦٤- اللهجات العربية نشأة وتطورا: د. عبدالغفار حامد هلال، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط(٢) ١٤١٤هـ =١٩٩٣م

٦٥- اللهجات في الكتاب لسيبويه : د. صالحة راشد آل غنيم ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط ١ ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

٦٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤١٩هـ=١٩٩٨م

٦٧- المخصص : ابن سيده ، تقديم د. خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ١ ١٤١٧هـ = ١٩٩٦

٦٨- المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ١٩٨٠م

٦٩- المزهرفي علوم اللغة وأنواعها : السيوطي ، تحقيق: محمد احمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل – بيروت

٧٠- مسند أبي عوانة : الإسفرائيني ،دار المعرفة – بيروت

٧١- مسند احمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي- بيروت ، ط (٤) ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م

٧٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : الفيومي ، تحقيق : د.عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية .

٧٣- معالم اللهجات العربية: د. عبدالحميد أبو سكين ، دارالبشرى للطباعة والنشر، ط(٢) ١٩٧٨م

٧٤- معاني القرآن : الفراء ، علق عليه ووضع حواشيه : أ.د / صلاح عبدالعزيز السيد والدكتور محمد مصطفى الطيب والدكتور عبدالعزيز محمد فاخر، دار السلام- القاهرة ، ط (١) ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م

٧٥- معاني القراءات: الأزهري، تحقبق: أحمد فريد المزيدي، تقديم :د.فتحي عبدالرحمن حجازي ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط (١) ١٤٢١هـ=١٩٩٩م

٧٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، نشره أ.ي ونسنك ، مكتبة بريل – ليدن ، ١٩٣٦م

٧٧- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة كامل ، مكتبة لبنان – بيروت ط ٢ ١٩٨٤م

٧٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية – صيدا، ١٤١١هـ= ١٩٩١م

٧٩- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤هـ

٨٠- ملخص قواعد اللغة العربية: فؤاد نعمة ، المكتب العلمي للتأليف والترجمة – القاهرة ، ط(٢٤)

٨١- مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٩٠م

٨٢- المنهاج في القواعد والإعراب: د. محمد الأنطاكي ، تحقيق: سمير إبراهيم بسيوني ، مكتبة جزيرة الورد – مصر، ط (١)١٤٣٠ هـ=٢٠٠٩م

٨٣- الموضَح في وجوه القراءات وعللها : نصر بن علي بن محمد الشيرازي المعروف بابن أبي مريم ، تحقيق : د. عمر حمدان الكبيسي ، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى ، ط١ ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م

٨٤- نتائج الفكر في النحو: السهيلي ، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دارالرياض للنش والتوزيع ، ط(٢) ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م

٨٥- النشر في القراءات العشر:ابن الجزري ، تقديم الأستاذ / علي محمد الضباع ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط(٢) ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م

٨٦- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي ، طاهرأحمد الزاوي ، المكتبة الإسلامية ،القاهرة

٨٧- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: السيوطي ، تصحيح : السيد محمد بدر الدين غساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت

٨٨- الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي ، ط(٣) ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م

المراجع الأجنبية :

1-The study of language , an introduction :George yule, Cambridge university, press, Britain ,1987

المجلات العلمية :

١- مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الرابع ، نوفمبر ، ١٩٧٧م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٠٠٣
Research Summary	١٠٠٥
المقدمة:	١٠٠٧
الدرس الصوتي والدلالي في كتاب(الفتن وأشراط الساعة) بصحيح مسلم	١٠١١
الدرس الدلالي في (كتاب الفتن وأشراط الساعة) بصحيح مسلم	١٠٣٩
الدلالة الصرفية	١٠٥٧
الدلالة النحوية	١٠٨٠
الخاتمة	١٠٩٣
قائمة المصادر والمراجع	١٠٩٧
فهرس الموضوعات	١١٠٧

بحمد الله تعالى